روايـــــــــه
الصوره الاخيره

د. مصطفى برسيم

اهداء

الى نفسى التى لا يعرفها احد حتى انا

(1)

بين زوايا الجدران فى الاعالى يمرح العنكبوت فى اماكن تقاطعها بحرية تامه و رغد فى العيش و ذلك واضح من مساحة منزله و المخزون العالى من الفرائس. اما فى الاسفل فيوجد العديد من الاسره عليها مرضى متصلة اجسادهم بالمحاليل المعلقه على حوامل و متصله و لا تستطيع الجزم هل الخزان المعلق يعطيهم ما به اما يمتلىء بدمائهم. لكن كثرة الاعداد المحيطه بكل سرير لا يتحملها الاذلك العنبر فى هذا المستشفى الحكومى. و فى نهايات الصف اليمين من الاسره الصوره مختلفه فيوجد صمت و الحديث بين المريض و تلك السيده يكون بلغة العيون و عند اشتداد الحوار ترى قطرات الدمع تتدحرج على الخدين فى مجراها المرسوم بدقه فى الوجه، و يداها تساعد رأسها لتظل على رقبتها كأن جبلا من الهموم عليها يجعلها تنظر الى الارض احيانا و الى المريض احيانا اخرى. ما الذى يجعلنى اهتم بتلك الصوره و ما هى الاحداث التى رسمتها بهذه الدقه فى التعبير، و لا اخفيكم سرا بان لى موهبة فى الصغر اكتسبتها من جدى الذى لازمنى طويلا فى فترات عمرى الاولى بل تقريبا كلها

الى ان مات، لان والدى قضوا عمرهم فى تجميع المال خارج البلاد ظنا منهم مساعدتى فى كيفية العيش فى هذه الحياه ناسيين اننى اولا اريد ان اعرف معنى الحياه. و تقريبا هذا سؤال صعب لم يشغلوا بالهم بالاجابة عليه و اختاروا ان يعيشوا كما يعيش الاخرين ليس كما يريدون ان يعيشوا. و للاسف لم يهنأوا بما جمعوه و لم يتركوا لى شيئا ايضا فهم من ضحايا رحى الحروب فى العراق بلد الرافدين دجله و الفرات. و رحمك الله ياجدى ايضا فلقد جعلتنى اعيش عمرين و ازمنه عديده بسرد حكاياتك و زكرياتك لكنك جعلتنى مبتعدا عن الناس و هذا بسبب خوفك الشديد على، بالاضافه الى تعريفى بعلم الباراسيكولوجى و علوم ما وراء الطبيعه و مواهبى العديده فيها. و حتى لا اطيل عليكم اخذت منه موهبة التخاطر و الدخول الى عقول الناس و قراءة افكارهم و اتدرب لكى احاول تعديلها للافضل حسب معلوماتى و منطقى فى الحكم على الاشياء. فاولا وجودى فى هذا المكان كان لاداء وظيفتى فانا صحفى بجريدة "الحدث" و اتناول بالتحقيق موضوع تجارة الاعضاء، و علمت من احد مصادرى ان ذلك العنبر يحتوى على العديد من الضحايا.

انا اسمى حسام المرشدى، فى الاول كنت مندهش ايه العلاقه بين موضوع تجارة الاعضاء و هذا المكان، و بالبحث و التقصى بجميع الطرق المشروعه و غيرها عرفت الكتير و ضميرى المهنى يحثنى على ان انشرها على العالم ليعرف مستوى الانسانيه وصل الى اى مدى من الانهيار. و عند حديثى مع رئيس التحرير الذى توقعت ان يرفع لى القبعه و يعطينى مكافاه و تمادت فى احلامى بانى سأصبح مساعد رئيس التحرير، لكنى فوجئت بتغير لون وجهه و اهتزازه الشديد الذى وصل الى حنجرته ليخرج صوته عاليا من فتحة فمه كأن بركان خامل نشط فجاه بكلمات حروفها مختلطة مع بعضها لتعطى احساس بانه تحول الى زومبى و انه سيخرج ذيلا ليضعه على سطح المكتب اثناء اصطدام يده به بضربه قويه. حصل لى صدمه ما الداعى لهذا الموضوع و عندما هدأت عاصفه سالم بيه رئيس التحرير و اصبحت اتعرف على بعض كلمات حديثه التى فهمت منها و مين قالك تروح المكان ده انا بعتك لمستشفى امجد طاهر علشان تقابل بعض الدكاتره لتثبت ان الموضوع كله اشاعات و انا كلمته و كان مستنيك و هو كان غاضبان جدا و انا اعتذرت له، و لا احنا يعنى نزود الاشعات ولا ننهيها. انت تخرج من عندى تقابل الدكاتره

اللى قال عليهم و شوف هيقولوا ايه و اعمله يلا يافندم. اصبت بحاله عدم تصديق مما اسمعه، نعم انا عارف انه صاحب تمويل الجريده، و لم استطيع ان انطق تلك الجمله كأنى اصبت بالخرس، و خرجت من عنده بخطوات لا اراديه كأنه قد تم برمجتى و كانت وجهتى الى المستشفى فعلا، لكن صوت قوى اظنه ضميرى المهنى و اثار تربيتى هما ما جعلانى اخرج من تلك الحاله و اعمل حوار مع نفسى التى تنصحنى بان امتثل فانت عبد المأمور و تحتاج الى راتب هذه الوظيفه بعد ضياع معظم مدخرات الوالدين فى شركات توظيف اموال الى مشروعات فاشله و حياتك سوف تبدا فى الانهيار. لكن ضميرى يقول كيف تسكت على هذه الجريمه و تشارك فيه و كيف تهنأ بعيش و يدك قد تلوثت بدماء هؤلاء المساكين لصمتك و كيف تتخلى عن مبادئك، و كيف تناقض نفسك التى كثيرا ما تحدثت عن الشرف و الفضيله و كلامك الذى يكثر فيه تعبيرات المفروض و لازم و الافضل، واين انت الان من لومك لهؤلاء الوحوش الذين يقتاتون على دماء الفقراء و المساكين. اخذتنى قدماى الى احد المقاعد فى قهوه و تنبهت الى صوت الجرسون يقولى لى تشرب ايه ياباشا فقلت له شاى مظبوط لعلى اسمع ما انتهت اليه المناقشه بداخلى بين نفسى

و ضميرى. و انا فى حالتى الشارده هذه رن جرس الموبايل برقم قد سجلته باسم الاستاذ حسان الوتيدى و عند الضغط على زر الرد للتحدث سمعت كلمات من شخص كانه انتهى حالا من عدو مسافات طويله تقول اريد مقابلتك ضرورى فالامر خطير. و لعل هذه الكلمه السحريه التى تشحذ ملكات المهنه فى عقلى بان لا اتردد فى التعامل معها دون النظر لدرجة الخطوره فهى مهنة البحث عن المتاعب، لكنها حاليا تحولت الى مهنة الذهاب الى المخاطر هذا ان كنت تريد ممارسه شريفه لهذا العمل. فوافقت على الفور و ذكرت له مكانى، فقال انا فى طريقى اليك.

حسان الوتيدى هذا مدير حسابات بمستشفى الدكتور امجد طاهر، رجل مصرى اصيل من صعيد مصر تربى فى بيئه لم تلوث بمظاهر المدنيه الحديثه هذه الايام فهو يعرف الحلال و الحرام و يقدر الكبير و يحترم الصغير و الحق هو طريقه الذى يريد ان يسلكه حتى وصوله الى اعتاب القبر و يريد ان يترك سيره حسنه تفتخر به اولاده بالاضافه الى تربيتهم من مال حلال لكنى يجنى الثمار بدعائهم له عند الممات. تعرفت عليه و ان فى طريقى بالاتوبيس الى تلك المستشفى بعد ان كلفت بمهمة نشر محاسن تلك

المستشفى و ان اثارة موضوع تجارة الاعضاء هذا ما هو الا شائعه مغرضه من قبل المنافسين. و هو من بادرنى بالحديث حيت كانت جلسته بالمقعد المجاور لى و قال هل سياتك ذاهب الى مستشفى الدكتور امجد طاهر فتعجبت من السؤال و لكن سرعان مازال العجب لعله راى شعار المستشفى فى الاوراق التى كنت اقرا فيها. فهذه الاوراق اعطاها لى سالم بيه لعلى استعين بها اثناء كتابة الموضوع الذى ساغطيه. و كان ردى نعم لاحظى بمعلومات عن موضوع الشائعه التى تقول بان هذه المستشفى من ضمن اسماء لمستشفيات اخرى متهمه بممارسه اعمال جراحيه مخالفه للقانون حسب ما ورد فى المقالات الصحفيه التى تناولت الموضوع. و تكليفى من قبل سالم بيه كان بسبب قلة خبرتى فى هذا المجال الصحفى الذى يتناول التحقيقات فى المواضيع الشائكه فلقد كانت وظيفتى تغطية اعمال الفن و الفنانين و كما هو يعلم رغبتى فى ترك ذلك المجال الى القصايا و التحقيقات و لكنه كان يرفض عرضى دائما. و لكنى فوجئت باتصال منه و تكليفى بالموضوع مع وعد بالاستعانه بى كثيرا فى ذلك النوع من العمل الصحفى ان نجحت. و سألنى الاستاذ حسان هل انت صحفى فقلت

له نعم و ساغطى موضوع اتهام المستشفى بموضوع تجارة الاعضاء. فقال لى الرجل كلمة هل تريد الحقيقه ام غيرها و بموهبتى فى قراءة الافكار توصلت الى ان الكثير من المعلومات عند هذا الرجل. و كان ردى الحقيقه فقال لى انا من ساعدت الصحفيه ريم الخولى ببعض المعلومات و السبب ان اكثر الضحايا فى هذا الموضوع هم اهلى الذين طحنتهم العوز و الفقر و لجاءوا الى بيع اعضائهم كحل قبل القيام بالتخلص من حياتهم. و عند وصول الاتوبيس الى المحطه المقصوده نزلنا سويا و دعوته الى الجلوس الى المقهى التى اجلس عليها انتظره الان. و طلبت منه ما يعرفه من معلومات فقال لى هذا ما جعلنى اتحدث معك كواجب على و دور لابد ان اؤديه فى هذا الموضوع ليستريح ضميرى.

(2)

دعنى ابدأ كلامى استاذ حسام هذا ما قاله حسان الوتيدى عندما وصل الى المكان المتفق عليه للمقابله و ساقوم بسرد الاحداث الاولى و ارجوك لا تمل من حديثى لانى اشعر بثقل جبل عالى على صدرى تكون نتيجة الصمت و انتظار المجهول املا فى ان يكون القادم هو الاحسن و لكن اتضح ان هذا خطأ اثبتته لى الايام. لا تشغل بالك استاذ حسان فعقلى مشوش و يحتاج الى ترتيب افكاره لكى اصل الى قرار. حسنا استاذ حسام فالبدايه من قريه باسوان تقع على النيل ذلك الشريان العظيم الذى يبعث فينا نحن من عشنا بجواره روح الحياه. فبعادنا عنه معناه ببساطه الموت و ان كنا نسير على قدمين. ربما هو قدر علينا نحن و جميع عائلتنا ان نتحمل الموت اكثر من مره فى هذه الحياه. فالاولى منها عندما سمعت من جدى ان تلك القريه ليست ارض الميلاد و انما طردنا منها ليقيم السد العالى بوعود اننا نساعد فى بناء الارض الطيبه مصر و سنعوض باراض اخرى لنقيم عليها و لكن تجهيزها يحتاج الى وقت. دارت الايام و تغيرت الوجوه و الاشخاص و تبخرت الوعود و تحمل اهلنا مرارة نزع الروح

لتصبح الحياه بلا معنى. نحن من اتهمنا بعدم الوطنيه و الشك فى ولائنا بسبب اننا نريد ان نحافظ على ارضنا. خبرنى بالله عليك ماذا تعنى الوطنيه الا لم يكن الحفاظ على الارض من مقوماتها الا لم يكن الانتماء الى التراب و الدفاع عنه بكل غالى و نفيس. وجودنا على ارض لا تحمل ذكريات و لا اثار من نشاطنا عليها، كيف اشعر بالانتماء اليها بل ما الداعى لكى اثور دفاعا عنها و انا لا اشعر باتجاهها باى مشاعر الا المنفعه و المصالح. فاذا تحققت تلك الامور فى اى مكان فساتركها و انتقل اليها و تعتبر دار اقامتى و ليس وطنى. يا استاذ حسام كما قلت لك احمل هما كبيرا لانى قرأت و سمعت و عرفت ، وجزى الله خيرا الشرفاء فى هذا الكون الذين قاموا بالتوثيق للخير و تركوه تراثا، وكذلك سمعت من اهلى و اجدادى قصص السابقين و كفاحهم فى سبيل العوده، و ايضا عرفت من معايشتى للواقع كل هذه الامور كونت خبرتى و ميزانى للحكم على الاشياء لكنى لا اخفيك سرا باننى اعيش هاجس المؤامره. فانى اخاف من تزوير التاريخ او الانتهاء من انتاج المعرفه، فانى اعلم بان الكتب سترفع و قد كنت اتعجب عندما اسمع حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى احداث

نهاية الزمان ان العلم سيرفع و لكنى ازعم انى اراه يحدث الان واقعا. ففى المراحل الاولى لهذه المؤامره تم انتقال العلم من الصدور و ذاكرة العقول الى مرحلة التسجيل فى السطور ثم تلتها الوصول الى الاعتماد عليها رقميا و فى مواقع اليكترونيه بعينها و البدء فى توقف طبع الكتب، كأن هناك تهيئه بالانتقال الى الرقمى و الذكى هذا ليكون هو المصدر الرئيسى للمعلومه ثم يتم التحكم فيها او منعها بالكليه. و اعتقد ظاهرة الاعتماد على قراءة القران من خلال الموبايل بديلا عن المصحف سيكون تحقيقا لنبوءة رفع المصحف فى اخر الزمان بتوقف الخدمه و كذلك توقف طبع المصاحف.

انتقال عائلتى الى تلك القريه بمحاقظة اسوان هو بمثابة بعث جديد لهم من موت قد حدث لكن الحياه الجديده كانت بطريقة مختلفه، كما انا الان باقامتى فى القاهره و كما قلت لك ربما كتب علينا الشعور بالموت فى فترة الدنيا اكثره من مره. و ما هو تعريف الموت الا نزع الروح من الجسد و بالتالى لا معنى للحياه و هذا ما اصبحنا نشعر به بعد ان ورثه لنا اجدادنا و ما ارانى الا ان اورثه لاولادى و السبب هو مرحله لخلق اجيال مسخا بلا معنى لا تحمل

تاريحا او هويه. و هذا واضح جدا فيما رضى ان يعيش فى بلاد بعيده عن حدود بلاده و لا سيما فى البلاد التى يكثر فيها مواطن الاختلاف من الارض و اللغه و التاريخ و الهويه و الدين و المستقبل و الاهداف، و النتيجه اجيالا مسخا لا تستطيع الاندماج. و لا اخفيك سرا باننى اشفق على هؤلاء الانماط من البشر لانهم ضائعون بمعنى الكلمه و يعتبرن نبتا غريبا لا يرضى عنهم السكان الاصليون و لا هم راضون عن انفسهم مهما حاولوا التماهى بينهم، و نحن من تركنا ارضنا فى الصعيد صوره مشوشه من صورتهم الواضحه فى بلاد الغربه نشترك فى امر واحد و هو ارتباطنا بالارض قائم على المنفعه اذا وجدناها فى مكان اخر تركنا الارض غير اسفين عليها و لا نحمل معها منها الا الذكريات. دعنى اخى الفاضل حسام ازيد فى هذا الجو التشاؤمى امرا و هو اننا تقريبا متفقون على ان هناك اعداء الخير و اهل الشر موجودون على الارض و ان لم نكن نعلم ذلك فاما نتيجة الجهل او العناد و لكنى اريد ان اذكر باية "فانظرنى الى يوم يبعثون" و الايه الاخرى "فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا عبادك المخلصين" و هذه الايات تخبرنا بان هناك افاعيل من ابليس

لاغواء البشر جميعا، و يعتمد فى سبيل ذلك على الشياطين من الجن و الانس. المهم تتبع مراحلهم فى هذا السبيل فبعد ان يبدأ بالوسوسه ينتقل الى التزيين للضلال الى تسميه المعاصى و الذنوب باسماء مختلفه الى ان وصل بالاعوان من الانس الى احداث الشر المادى على الارض كواقع. فمن الفكره التى ذكرتها لك عن الوطن و دورها فى بناء انسان سوى متوازن، انطلق منها اعوان الشيطان لتكون واقع بمعنى نزع هذا المفهوم خاصة فى المخالفين اى الذى لا يريدون اتباع الشهوات او الميل، كنوع اخرمن الحروب جديد عليهم. فالوصول بالانسان الى ان يترك وطنه طواعيه قبل ان يتركه كرها هدف يسعى اليه الاعداء. لكنهم فطنوا حديثا الى ان تركهم لوطنهم يجعلهم يتوجهون الى بلادهم، و هذا اصبح يهدد امنهم القومى بتاثيرهم على سكانهم الاصليين و لمسوا ذلك فى تغيير ديانات البعض من اهلهم كما انهم يستهلكون مواردهم هذا و قد اصبحوا يشكلون عبئا عليهم اقتصاديا و اجتماعيا بل سياسيا ايضا بكونهم يريدون تمثيلهم فى اداره شئون البلاد. و لذلك انتقلوا من المعنى المعنوى للوطن كتاريخ و مستقبل و ذكريات مرتبط بارض الى معنى اخر مبنى على

المصلحه و المنفعه اى بمقابل تحصل عليه فى اى ارض لكن ليس اراضيهم او ارضك التى نشات عليه .فلجئوا الى تقسيم البلاد المخالفه لهم و التى تناهض مخططاتهم و قاموا بتغيير التركيبه السكانيه فيها مع وضع اسباب شقاق بينهم تدعوهم لعدم الاتحاد فيما بينهم مستقبلاو تشعل الصرعات وقتما تريد لانهاكهم و تبديد مواردهم. و الخلافات اما ثقافيه او دينيه او عرقيه او مصالح او نفوذ. و لك فى بلادنا العربيه و ما يجرى فيها الان تاكيد لما اسرده الان ربما اكون مخطئا فهذا حدسى للمستقبللكن الايام تثبته. استاذ حسان حقا ان تحمل هما كبيرا و لكنك شردت بنا عن الموضوع الاساسى الذى يجب ان تحدث فيه. لا يا استاذ حسام فهذا هو الموضوع الرئيسى لان ما تريده هو اعراض لهذه الامور الرئيسيه فاذا تعاملنا معها بالحكمه زالت كل هذه الاعراض.

(3)

الحاج محمد يا استاذ حسام الذى رايته فى المستشفى هو من بلدتى باسوان نعتبره تاريخنا المجسد فى شخصه يمشى على الارض. رجل واسع الاطلاع السمعى بالرغم من انه لا يعرف القراءه و الكتابه حافظ للقران و سامع جيد لكل الشيوخ و دائم السؤال و الاستفسار. يعرف التحدث باكثر من لغه و يتعامل مع السياح كأنه واخد منهم. بيته مأوى لكل غريب او عابر سبيل و يوفر الطعام لمن يقصد بابه و لا يرد يدا امتدت له تطلب المعونه بالرغم من انه ليس واسع الثراء و لكن تشعر معه بالبركه و الخير الوفير. الحاج محمد ذهب لاداء فريضة الحج و يواظب على الصلوات فى بيوت الله جماعه، و يقوم بكل التزامات دينه يشهد له الجميع بحسن الخلق. و الذى حكيته لك عن تاريخنا هو من علمنا اياه و كانه حى يعيش بيننا، علمنا كيف نحافظ على العرض و الارض و ان المبادئ و القيم هى اثمن الثروات. اولاده ثلاث علمهم قدر استطاعته و كما قلت لك ان البركه من الله عز وجل تحوم حول هذا الرجل اينما ذهب و ظهرت واضحه فى خلق و تعليم اولاده فالكبير مهندس احمد و يحلم دائما ان يبنى منزلا لوالده فى ارضه

التى طرد منه و الثانى دكتور يحيى يتمنى ان يحقق لوالده حلم تخفيف الالم عن كل مرض خاصة الذى لا يملك مالا و الصغرى حياه مدرسه دأبت على تعليم الكبير قبل الصغير و رؤيتها ان المتعلم الكبير سيوفر البيئه الحسنه للجيل الصغير. زوجته الحاجه فاطمه نعتبرها ام لنا جميعا بما تقدمه من خير فهى لا تكل و لا تمل فى خدمة الناس و تنفذ رغبات زوجها المتعلقه بضايفة الغرباء بكل سعادة و تفانى. و انها حاضره فى كل واجبات الاراح و الاحزان و هى محبوبه من الجميع و وفاؤها نادر. سوف استرسل لك قصة الحاج محمد لانها هى قصة مصر التى انهكتها الاحداث عبر ازمان طويله. فما مصر الا تاريخ على ارض كتب من سواعد ابنائها، وصفحاته منصوبه تحتاج الى من يسطرها بحروف من نور حيث ضوء هذه الحروف تخفت احيانا و يشتد ضياؤها احيانا اخرى. مرت الايام على هذا الرجل بحلوها و مرها فالحلو منها كحبات السكر تخفف مرارتها و لكن ليس هكذا تسير الامور فاحيانا شده المراره لا ينفع معها حبات السكر القليله بل الايام الحلوه تضيع من الذاكره و لا يبقى لها ذكرى مع اشتداد هبوب الايام السيئه و استمرارها. و ماساه هذا الرجل تبدأ من

قدوم ابنه الدكتور يحيى اليه فى يوم من الايام القريبه و الذى طلب منه الاذن فى الرحيل. فصعق الرجل من هذا الطلب الذى ليس له مقدمات و سأله لماذا تريد الرحيل و الى اين. فكان الرد انى سأهاجر الى بلد اوربى و اما السبب فذلك يطول شرحه و لكنى سألخصه لك فى جملة واحده هكذا قال الدكتور يحيى لوالده اننى لا اشعر بذاتى على تلك الارض. نكس الرجل راسه الى الارض و علم ان هذا قرار نهائى و لن ينفع معه اى محاوله للاعتراض و ان اى كلام لن يزيد الدكتور يحيى الا تصميما. فقال له الرجل ليقضى الله امرا كان مفعولا و سكت. و دهش الدكتور يحيى من موقف ابيه و ندم على تلك الصراحه الجارحه فهو يعلم حب ابيه له و لاخوته الكبير و يشعر بان حياته مستمده من سيرهم على تلك الارض. و ما كان يحمله من اجابات على كل اعتراض توقع ان يواجهه به اباه ذهب سدى. و اخذ يلقى على مسامع ابيه الاسباب التى جعلته يتخذ هذا القرار لعله يخفف عليه الالم الذى يبدو عليه، و الاب صامت و ينظر اليه و لا يسمع منه الا همس كلمة لا حول و لا قوة الا بالله التى يرددها على مسبحته. يا ابى الحبيب اصعب ما يعيشه الانسان فى حياته هو ان يتصنع الحياه

فتربيتنا خلفت لنا مسارات و قوالب نسير في المسارات الى ان نصل الى القوالب فاذا تكيفنا عليها انتقلنا منها الى قلب اخر بمسار مرسوم و هكذا. و تكتشف فى لحظات الخلوه مع النفس و التى تعقد بهدف ترتيب الاوراق و تصحيح المسارات بان عمرك ضائع و انك كنت تسعى لتعيش كما تريد و لكن تكتسف انك تعيش كما يريد الاخرون واضعى المسارات و القوالب. و الاختلاف بين البشر فى تلك النقطه اننا مع تعلمنا التكيف لنمر من القوالب تعلمنا التكيف و فقط و اختيار المسارات تتدخل فيها اسباب كثيره ربما لا يوجد فى حساباتها رغبات الشخص ذاته. فانت يابى العزيز فرضت عليك ارض لا تريدها و تعيش على حلم العوده و قمت بتعليمنا لنبنى البيوت فى ارض العوده و تحاول الحفاظ على صحة احفاد من طردوا ليعودوا معك. جميل الحلم يا ابى و السير فى طريق تحقيقه لكن موجبات الوقت و سعى العمر و هذا سؤال اعيتنى الايام فى محاولة البحث عن اجابه له. فالاحلام و اختيارتنا للسير فى طريق تحقيقها حتى و لو وهما و سرابا تعد سببا وجيها للحياه لكن موجبات الوقت و سعى العمر لابد من ادراجها فى الحسبان. فموجبات الوقت تدعونا الى ان التفكير يختلف من

مرحلة لاخرى حسب مقتضيات الامور و سعى العمر يعنى هو ما يدون فى سيرتك من انجازات و خاصة فى عمران الارض. لا استطيع يا والدى الحبيب ان ألومك على اختياراتك و لكن دعنى احاول فى مسار اخر. فلقد اتفقت مع صديق لى ان نحاول عبور البحر و نجرب مغامرة الهجره لعلنا نجد الكرامه اثناء سيرنا فى حياتنا و الحريه فى اختياراتنا. تنحنخ الاب و قال لابنه الذى راى منه التصميم و العزم على المضى فى قراره مهما كانت عواقبه، القدر المكتوب لا راد له و لكن ما زال علينا واجب تجاه هذا القدر هذا ما فكر فيه الوالد، و ان الدو ر الان فى الدعاء الذى يرد القدر احيانا او محاولة التخفيف من اثار قضاء للحدث المكتوب او محاولة الصبر اذا كان العجز هو سيد الموقف. و قال ايضا انت تعلم الصواب و الخطأ و انى اعلم بان راتبك لا يكفيك و انت تريد صناعة حياه و صياغه مستقبلك كما يحلو لك. لكن هل فكرت فى العواقب و كيف تبنى مستقبل على وهم و ليس هناك دلائل على تحقيقه كما ذكرت لى تمسكى بحلم من اثار الماضى. الفرق بيننا يا بنى اننى بنيت على ماضى واقع و انت تبنى على مسقبل غيب. فالواقع قد وقع و ربما يقع مرة اخرى اما وهم المستقبل فقد يقع و

لا يقع و الاقرب لتكون فى الضمان ان تبنى على انه لا يقع. كما ان اختياراتك لمسارات الحياه التى ترغبها مبهمه و ليس لها ارشادات وستكون كالتائه فى الصحراء يريد ان يهتدى الى مسارات غيره لعله ينجو من الضياع لكنك لن تجد. اما موجبات الوقت و سعى العمر فانا متفق معك تماما و الفيصل بيننا و الذى يضع حدا لهذا الموضوع هو ما قد عزم الشخص الامر عليه قبل التحرك فى المسارات ، انا لى هدف عقدت العزم عليه و لا اعتبر ما افقده اثناء سيرى خساره و انما تضحيه فى سبيل سلعة غاليه. يابنى لا اوافق على سفرك و لا احب ان يمضى يوما بدون رؤياك لكن اذا اردت ان تمضى فيما اخترته فليوقك الله و اعذرنى يا بنى لانى ساتركك لصلاه العصر و ربما نكمل اذا اردت عند العوده معا. و فى ركن من البيت سمعت الحاجه فاطمه هذا الحوار و عينها لا تكف عن سكب الدموع و راها الدكتور يحيى و نظر اليها و انطبعت الصوره فى عينيه و لم يدرى ما يقول الى ان خرج من البيت لاداء الفريضه و الذهاب الى صديقه.

****

عبد الرحمن انهى دراسة الحقوق بتقدير عالى يؤهله الى الالتحاق بالسلك القضائى كما يقولون و لكن كثيرا ما تاتى الرياح بما لا تشتهى السفن و رفض و السبب الذى استنتجه مهنة والده حارس عقار. الحاج عويس والد عبد الرحمن كان لديه حلم فى ان يصبح ابنه محاميا كبيرا يستطيع ان يدافع عن قضيتنا التى توارثنها عن اجدادنا و هى حق العوده الى اراضينا. الم اقل لك ان العقل الجمعى عند اهلى تشكل و اتفق على هدف واحد و هو استرداد الارض هكذا كلام حسان. اشتغل الحاج عويس تلك المهنه لانه لم يستطع الاستمرار فى مهنته الاساسيه و هى الزراعه على مياه النيل و فى الارض الطينيه لكن الارض التى عشنا فيه رمليه و صعبه التعامل معها و ذات تكاليف عاليه من حفر الابار و تشغيلها و استسلم اخيرا لعرض صديق له فى القاهره كان يشترى منه زراعته و هو العمل كحارس عقار. و انا اعلم كم يموت هذا الرجل فى اليوم مائة مره و هو يتحمل سخافات اهل العماره و اولادهم هكذا اهلى يعتبرون الكرامه من المقدسات لكن الظروف و احتياجه للمال الذى يدفعه لابنه حتى يستكمل دراسته و لم يشعره ابدا بانه فى ضيق و كرب جعله يقدم تنازلات. فى يوم

راى ابنه قادما نحوه شاحبا اللون كانه فر من الموت توا و محنى الظهر كانه يحمل جبل بلدتى فوقه و يجر رجليه كانها غاصت فى الارض و لم تتحرك. خرجت روحه قبل جسده لاستقباله و مساندته قبل السقوط فاقد الوعى. ادخله الى مدخل العماره و اجلسه على دكته و عندما هم عن سؤال يعرف اجابته فهو يعلم ان ابنه ذهب صباح اليوم للاطلاع على كشوف الناجحين للعمل كوكلاء نيابه صرخت فيه احدى هوانم العماره ان ياتى مسرعا و يساعدها فى حمل بضائعها و يصعد بها الى الشقه، لم يتحمل الرجل و رجع الى بلدته بعد ان اصيب بشلل نصفى و فقد النطق. و زاد الم الرجل رؤية ابنه الذى اصبح كالشجره فى زمن الخريف متساقط اوراقها امامه فى الدار يتمنى الموت كحلمه الذى بذل كل ما فى وسعه لتحقيقه. و فى لحظة رشد تحدث الى والده الذى يرد عليه بعينه لا تحزن يا والدى تلك البلد هى الخاسره. فانا لم اشك لحظة فى قدراتى و ما يؤكد هذا ايضا مدح اساتذنى لى طوال اعوام الدراسه بالكليه و كثيرا ما حاورتهم فى القانون و فلسفته و طرق تنفيذه للوصول الى العداله. يا ابتى اكثر من هذا فانا مرتبط بزميله لى والدها كان مستشار كبير قبل ان يقدم استقالته المبكره

من القضاء و فتح شركه قانونيه كبير و ها انا اعلم الان لم استقال. فمن اخلاق ابنته ادركت انه شريف و لا يقبل التنازل و هذه ليست مقومات الاستمرار فى تلك الوظيفه. يا ابتى لا احمل ضغينه تجاهك و لا احملك اى تبعات لهذا الموضوع فللاسف الزمن ليس زماننا. تتدرج العبرات من عين والده و يحاول تحريك شفتيه و الابن يجثو على ركبتيه و يلثم يدى والده و يشهق بصوت عالى من صدره الذى يضخ قبله الدم فى شرايينه بوفره فى تلك اللحظه. يا ابتى علمتنى الانتماء و كيف اصونه و ادافع عنه لكن واضخ ان هذا كلام نظرى كاشياء فى حياتنا الان تحولت كسراب و وهم و انتهت من الواقع و اصبحنا نعيش على اجترار الذكريات. كيف يا ابى انتمى لارض تلفظنا و الاقوياء فيها لا يتركون الحريه للضعفاء فيها ليعيشوا كما يحلو لهم بالرغم من اسلوب حياتهم بسيطه و لن تؤثر فى اسلوب الاقوياء بشئ. رضينا ان نكون اتباع لهم و يبدو انهم ضجروا من اتباعنا لهم و اصبحوا لا يريدون رؤينا فى الاساس. هل طمعوا في خيرات ارضنا لا و الله كذب و افتراء فمن اراد شئ حافظ عليه عند امتلاكه فهم بعد الحصول عليها لا يحسنون اداراتها و افضل شيء عندهم انهم

يعطونها لمن يدفع الثمن. هل يريدون عبيدا لهم فوالله لم نعد نصلح لاداء اى مهام ليس لان صحتنا كلت و اصبحنا عبئا و انما التكنولوجيا حلت محل كل شيء و هم اصبحوا اصحاب مصانع و بالتفكير فى تلك الاشكاليه كثيرا هدانى تفكيرى الى انهم المفسدون فى الارض. هم عبيد الشيطان الذى تحدى الله فى عليائه و قال بعزتك لاغوينهم اجمعين فالغوايه فى اسمى معانيها الافساد فى الارض و فقط و البعد عن غاية الخلق و هى الاعمار و نشر الخير. يا ابت انى مهاجر الى اراض اخرى لعلى اجد نفسى هناك. فى تلك اللحظه دق جزس الباب و دخل الدكتور يحيى بحال لا يختلف كثيرا عن عبد الرحمن و سلم على الحاج عويس الذى لم يحرك ساكنا. وخرج الاثنان معا ليقابلوا السمسار الوسيط بينهم و بين صاحب مركب الصيد الذى سيقلهم الى شواطىء اوربيه. و هاهم دفعوا له ما جنته ايديهم طوال الاعوام الماضيه و نظر السمسار الى المبلغ المدفوع و قال لهم ليس هذا ما تفقنا عليه اين الباقى فاوردوا له الاعذار و لما كان معرفة قريب لهم نجح فى الفرار عن حدود الوطن و وعده له ان يعطيه ما يعجزوا عنه وافق. و اخذهم الى شقه على سواحل البلاد و ما ان دخلوها الا

و وجدوها مكتظه بمئات امثالهم نظروا لبعضهم البعض و قالوا الى هذا الحد زادت نسبه من يريدون الفار من الوطن و للاسف زادت المخاطر ايضا و اعداد الوفيات و الغرقى و المفقودين. انتبهوا على صوت جهورى من اعوان السمسار الذى صاح بان عليهم الاستعداد فى فجر غدا سيتحركون بالمركب الى الشواطئ الاوربيه. لم يناما طوال الليل و روادتهم احلام اليقظه فى ان تغير الدنيا وجهها القبيح الذى لازمتهم بهم طوال سنوات طوال، و انتهت عند وعد كلا منهم لنفسه بانه سيعود الى وطنه ليثبت له انها اخطأت عندما لم تستعين بهم. صحيح من نجحوا فى الوصول الى اراضى الاحلام كما تكونت الصوره عنهم فى ذهنهم بان بنوا العمارات الشاهقه و ركبوا السيارات الفارهه و تزوجوا من الحسنوات ذوات الحسب و النسب و كيف لا و هم يملكون ما يسعى اليه الجميع بوفره جعلهم ينفقون بسخاء ليس فيما ينفقونه انما كيف ينفقونه. هذا زادهم اصرار على تلك المحاوله و بالرغم ايضا من القصص الكثيره للغرقى و الموتى و الذين لم ينجوا من تلك المغامره و كانت نهايتهم اليمه . نظر بعضهم الى بعض و كان عيونهم تقول لقد وصلنا للنقطه الحرجه التى تتساوى عندها

الامور و اصعب ما فيها الموت بالحياه بل الموت اقرب الامانى لانتفاء اى سبب يدعو الى الحياه. ضاع الامل و مات المستقبل و اصبح الحاضر ثقيل ثوانيه لا تمر و كانها واقفه تتلذذ بالامنا التى احيانا كثيره نخفيها عن الاقربين منا. و لكن ما العمل و ما اعتقدنا اننا اخفينا عن احبابنا مظاهر الامنا وجدناهم بحال لا يختلف عنا بل حالهم اشد. لقد عشنا حياه الزيف و التى نظهر فيها اننا سعداء الى ان حانت اللحظه و انكشف الغطاء و ظهرت الحقيقه و هى اننا نمثل كوننا احياء. تحركت المركب بهم فى عرض البحر. و لك ان تتصور يا استاذ حسام ان تلك المركب صغيره جدا على ان تتحمل كل هذا العدد الذى وصل الى الالف. فلقد ظنوا ان المائه الذين قضوا الليل معهم هم فقط الذين سيسافرون على المركب. بل اتضح ان هؤلاء المائه و هم من ضمنهم ركبوا بالفعل مركب صيد و لكن طلب منهم ريس المركب ان يستعدوا للركوب الى مركب اخرى متفق مسبقا على المكان، و عندما حاول يحيى الاعتراض لكمه احد مساعدين الريس فشقت شفتاه و نزفت الكثير من الدماء و كانت هذه اللطمه لانهاء اى محاوله للاعتراض. فتحرك الجميع للركوب الى المركب الجديد الذى لا يختلف حاله عن التى ركبناه

و انما ذلك لمراوغه حراس الحدود. و ما يدمى القلوب امراه لم تستطع المرور بابنها و بتكرار المحاوله مع التعنيف من قبل مساعدين ريس المركب الجديد للسرعه سقط الطفل و فى لحظه غاص فى الماء و لم تظهر الا البيبرونه التى يلعقها فى فمه بسعاده طافيه على سطح الماء و تجمدت المراه و حاولت القفز وراء ابنها فما كان الا ان منعوها من كانوا يسافرون معها. و وصل الينا معلومات انها احدى الهاربين من قصف البلاد فى سوريا و قتل كل عائلتها و لم يبقى الا هى و ابنها الذين نجوا لانهم لم يكونوا فى المنزل اثناء القصف. ركبوا المركب بعد هذه الاحداث الاليمه و فوجئوا بان اربعة مراكب اخرى افضت حمولتها من البشر عليها باكثر مما تستوعب. و لم ينتهى الامر عند هذا الحد بل توقف هذا المركب اكثر من خمس مرات اخرى و بنفس الطريقه يلقى باجساد من البشر عليها من جميع الاعمار و جميع الالوان و جميع البلاد حتى من قص القصه و هو احد القله الذين نجوا قال بان الدكتور يحيى و الاستاذ عبد الرحمن لم يكن لهم من هذا المركب الا ربع المتر. فمنذ حادثة الطفل لم يتحدثوا كانما انطبعت صورة ابتسامة الطفل قبل الموت و صورة الام التى ماتت نتيجة

التدافع و قذفها فى البحر كانت كافيه للاستعداد للمصير المجهول. هذا المصير لم يتاخر كثيرا فبعد سير المركب فى عرض البحر ارتفع موج البحر كمظهر للاعتراض على ذلك الوضع المزرى الذى وصل اليه المركب. فبالرغم من قذف العشرات فى قاع البحر نتيجة موتهم لاسباب كثيره مثل التدافع او قبله لم يتحمل او البروده او قلة الماء و الشرب او قتل من بالغ فى الاعتراض كل هذا لم يشفع هذا لاستقرار المركب العجوز على سطح الماء. و بالفعل لم يصمد المركب طويلا و شيخوخته ثبتت بعد سماع صوت محركاته التى كانت تنقطع انفاسها كل فتره و تنقطع معها انفاسهم ايضا و لا يبقى لهم الا التشهد و الذكر رغبة منهم ان يكون اخر عهدهم بالدنيا ذكر الله. و فى احدى مرات توقفت محركات المركب تماما و كان هذا بسبب تعلق بقايا جثه بالدفه الخاصه به و هذه البقايا هى التى بقت بعد انتهاء سمك قرش من وجبته الوفيره هذا اليوم. كل هذا و هم يعانون من الرعب فى انتظار ما سيحدث لهم فى النهايه المكتوبه عليهم. هل ستكون بقذفهم فى البحر ام سيكونون طعاما للاسماك المفترسه ام دهسا تحت الاقدام ام من البرد الشديد الذى يزداد مع كل رشة لموجه

تداعب المركب، و لكن لم يبدو انه تداعبه انما تخفى ورائها المصيبه الكبرى. فمن على البعد تراءى للجميع موجه عاليه ارتفاعها اكثر من ستون مترا و ما الموجات الاولى الا لترفع المركب عن السطح الحقيقى للبحر بمسافه ثلاثون مترا ليكون السقوط مدوى عندما يصل ارتفاعه الى الستين متر. وقفوا جميعا شاخصوا البصر ينظرون اليها و فقط حيث سكنت كل ذرة فى اجسادهم فى انتظار ما توقعه الجميع فى عقولهم. السقوط المدوى و المحو التام و لم يفيقوا الا على صرخات ريس المركب بان يتركوا المركب فورا و كان هو اولهم الذى قذف بنفسه الى البحر ربما يشفع له استسلامه المبكر و يلفظه الى الشاطئ حيا. يحكى من نجا ان يحيى كان على خلاف الاخرين يبتسم كانما راى صورة من احبها على الموجه العاتيه و باهتزاز عبد الرحمن له افاق و قذفوا بانفسهم فى عرض البحر و لكنه لم يكن يعرف السباحه فوالده كان يخشى عليه من البلهارسيا اخذ عبد الرحمن يجره معه الى ان خارت قواه و نظروا حولهم لم يجدوا الا المياه و على البعد فى كل مكان جثث طافيه لكل الاعمار اطفال و شيوخ و نساء و بنات و جنس عربى و افريقى. اخذ عبد الرحمن يبث

الامل فى يحيى لكن بنيته ضعيفه و لم يستطع الاستمرار فى مصارعة الموت الذى انتصر عليه و اخر صوره انطبعت فى عينيه صورة بكاء امه الصامت و هو يترك المنزل. مات الدكتور يحيى يا استاذ حسام الذى كان لا يعترض ان يزور اى فرد فى اى وقت من الليل او النهار و احيانا كثيره بدون مقابل بل يشترى الدواء من ماله. مات من كنا نحلم ان يساعدنا ان يكون فى بلدنا مستشفى ترحمنا من المسافه الطويله الشاقه الى المركز و التى على اثرها احيانا كثيره يموت المريض. مات ابن الحاج محمد و مات معه بعض منه و لعلك تسأل كيف علمت بتفاصيل تلك القصه فاقول لك ان الذى نجا و حكى تلك القصه صديقه عبد الرحمن الذى يقبع فى منزل والده القعيد مكتئبا كانما يجلس فى قعر بئر عميق ينظر الى الضوء الاعلى و لا يعرف كيف يخرج و لا يدرى به احد ليساعده. كانما فى عمره بقية عذاب عليه ان يحياه. فلقد حكى انه اخذ يسبح و يصارع الموج كانما الاحداث التى مرت به زادته قوه و تحدى و اخرجت قواه الكامنه التى لا تخرج الا فى تلك الظروف. و حديث حاله يقول بانه اصبح كالبركان الذى انفجر و خرجت كل طاقته ليستغلها فى صراع الحظ العاثر

الذى لازمه او ان له جولة اخرى ادخره الله سبحانه و تعالى له. يقول انه اخذ فى السباحه بكل قوه ليس المهم فى اى اتجاه انما يسبح و فقط فحركة يده تشعره بالدفء و تبعده عن مكان الدماء المكان الخطر الذى يستثير اسماك القرش لكن الى متى ..... و يقول عبد الرحمن بعد ذلك انه لا يتذكر بعد السباحه التى اجهدت كل عضلاته و تصلب اطرافه انه امسك بلوح خشبى كانه من بقايا حطام المركب الغارقه و غاب عن الوعى و لم يفيق الا على هزه عنيفه و اصوات تقول انه به حياه فقلبه مازال ينبض. و علم بعد ذلك ان ريس المركب و بعضا من مساعديه هم من انتشلوه على سطح هذه المركب التى ركبوها بعدما راوه يسبح فى طريقهم. و علم انهم نجوا لمرورهم بتلك الاحداث كثيرا و نجاتهم تكون عن طريق اتفاقهم مع مراكب اخرى تقوم بنفس الغرض بحمل اناس للهجره الغير شرعيه و يتم التنسيق بينهم فى امور مثل هذه التى تحدث كتغير احوال الجو فجأه او تعرضهم لمضايقات من قبل الركاب او التضيق عليهم من قبل الاجهزه المعنيه بحماية الحدود. المهم انهم بعد انتشاله و التاكد من سلامته ربطوا وشاحا على عينيه و تركوه على اقرب الشواطىء. و

تطوع احد المارين على الشاطئ فى ذلك الوقت بتوصيله الى البلده بعدما راى حالته و استنتج قصته.

تناولت وسائل الاعلام موضوع الهجره الغير شرعيه الايام التاليه من وجهة نظر واحده و هى انها تسبب الاضطراب الى البلاد المهاجر اليها. و لا يتناولون الاسباب التى تجعل شباب البلد القذف فى عرض البحر عن العيش على ارض تلك الوطن. و يجب ايضا ان اذكر ان من نجا من رحلة موت كهذه و ينجح فى الوصول الى الشواطئ الاخرى للبلاد لا يكون الا عبدا ويصارع الويلات الى ان تنضبط اوراق اقامته فى تلك البلاد. و التى لا تكون الا باحدى الوسائل الاتيه ان يثبت انه لاجيء سياسى او فى بلاده اضطرابات نتيجة حروب او يتزوج من مواطنه فيما يسمى بالزواج الابيض او يدعى فقدان اوراقه و حينها عليه ان يثبت دخوله الشرعى للبلاد او يقبض عليه و يرحل الى بلاده.

****

و هنا رن جرس الموبايل و لم يمهل المتصل الاستاذ حسام ليبدأ هو المحادثه بل باغته بسيل من الكلمات التى تنهره عن تاخره كل ذلك الوقت و ان الدكتور امجد بشخصه ينتظره هو و الاطباء

المعاونون. قال حسام لسالم بيه هناك تحقيقات لم تنتهى لكنه لم يعطه الوقت ليقول ماعنده لانه اغلق الخط . و شرد فى الافق و لم يعود الى رشده الا على صوت الاستاذ حسان يقول له. ما الامر فقص عليه ما حدث، فقال سيكون لنا لقاء اخر و ساخبرك الكثير عن هذا الموضع و نتقابل غدا فى نفس المكان و التوقيت و ان حدث جديد اخبرنى و تركه و انصرف حتى لا يثير غيابه الريبه فى نفوس احد. ثم نادى حسام النادل ليحاسب على المشروبات و انصرف هو الاخر الى المستشفى.

(4)

عندما دخل حسام الى بوابة المستشفى اخذه احد الموظفين الى مكتب مدير المستشفى و مالكها الدكتور امجد طاهر. واضح من استقباله لى ان الموضوع هام جدا بالنسبة له و من خلال التعرف على ما يدور فى راسه من افكار، توصلت الى انه يحاول ان يثبت ان ما تناولته الصحف عن موضوع تجارة الاعضاء و الزج باسم مستشفاه فيها يسبب له الارق. و بعد مصافحته لى ارشدنى الى الجلوس على احدى المقاعد و فى تلك اللحظه تعالت اصوات رنين التليفون الذى التقطه على الفور و اخذ يردد كلمة واحده حاضر يا افندم هتصرف متقلش معاليك و هو يمسح حبات العرق التى تتساقط على جبينه. لا يمكن ان يكون سالم بيه هو محدثه فهو الاخر يكون فى تلك الحاله عندما يستقبل احدى تليفوناته. ربما شخص اخر اقلقه صعود موضوع تجارة الاعضاء و وصولها الى هذا الحد الذى اوشك ان يكون قضية رأى عام. بعد الضغط على زر التواصل مع السكرتير الخاص به سالنى ماذا تشرب استاذ حسام فانتبت من شرود افكارى و قلت على الفور قهوه مضبوط فحقا انا فى احتياج

شديد لها ربما تساعدنى فى انهاء حالة الصداع التى انتابتنى بعد ترك الاستاذ حسان موظف الحسابات بالشركه. بادلنى الدكتور امجد التحيات و اسبغ على من الصفات الحسنه التى علمها من سالم بيه و دهشت عندما سمعتها، فكيف يمدحنى سالم بيه رئيس التحرير و هو دائم الشكوى من اسلوبى فى تناول الموضوعات. فكثيرا ما يقول لى اننى اريد الاثاره عن توضيح المضمون هذه هى الصحافه التى يجرى ورائها الناس. دع مجال التحليل و المفروض و المثاليات التى تتشبث بها و لهذا لم يدعنى استقر فى قسم واحد بالجريده فمن الاعلانات الى محرر فى صفحات الحوادث الى صفحة الفن حتى الوفيات و التى لم احب العمل فيها الرياضه. فعندما كنت اعود له خاوى الوفاض اثناء تفاوضى مع صاحب شركة اعلانات و يسالنى عن سبب تركى الشركه فاقول له ان بضاعته التى يروج عنها لا تستحق فهى تالفه و اسعارها مبالغ فيها كما ان التقارير الفنيه تقول انها معيبه و مشكوك فيها. فيقول لى هو سيدفع الثمن و بعد شجار ينتهى الى تحويلى الى الحوادث و القضايا التى ادت فى يوم من الايام الى تهديدنا من قبل بعض المجرمين و اضطر سالم بيه تكم الامر و اخفاء الدليل الذى حصلت عليه من احدى الشهود

التى وثقت بى و لا تريد الظهور فى الصوره. فما كان منه الا اعطاه لهذا المجرم و محاميه طواعيه و استفاد فقط باموال زادت من رصيد حسابه فى البنوك. حتى الفن عندما اصبحت محررا له فى جريدته لم يستتب الامر بيننا بل زادت الشكوى له من قبل صغار مدعى الفن و كيف جرأت على نقد احدهم لابتزاله فى عمله الاخير و كيف هاجمت الملابس المثيره التى ظهرت بها تلك الممثله التى يقال انها اجرت عمليه تحويل جنس مؤخرا. فاضطر سالم بيه الى توجيهى مؤخرا الى القضايا التى يريد تحقيقات فيها بما لمسه منى من كفاءه ورغبه فى العمل بهذا الميدان، و لعل سائل يقول و لماذا يصبر على الى هذا الحد. فاقول ان هناك صلة معرفه تربط جدى رحمه الله و والده حيث كانوا من منطقه واحده سكنيه و يشتركون فى هوايه القراءه و خاصة فى كتب ما وراء الطبيعه. بل ان التقارب بينهم وصل الى ان احدهم و هو جدى قد تعلم اللغه الهنديه و الاخر والد سالم بيه تعلم اللغه الصينيه و كان الهدف الاطلاع على مصادر تلك العلوم من منابعها فى تلك البلاد. و كثيرا ما جمعتهم الليالى فى الترجمه و المناقشه و تدوين ما توصلوا اليه. و لا اخفى سرا اننى اطلعت على تلك التدوينات و ناقشت جدى فيها و اسفرت

المناقشه عن حبى لتلك العلوم التى سأحكى عنها فى سياق الاحداث التى نسردها. اعلم ان سالم بيه رجل انتهازى لكنك لا تكرهه فهناك شيئ ما يجعلك ان لا تغضب منه اذا تعالت الاصوات فى الشجار. و هو لا يحمل حقدا او ضغينه لاحد رجل ينفذ المهام و فقط. الغريب انه محافظ على الصلاه بل الاغرب انه مريض بالسكر و الضغط لكنه لا يهتم بكل هذا. كما قلت رجل المهام و اعتقد انه سيموت اذا توقفت المهام ان تاتى اليه و يستيقظ ضميره. و هو متناقض يتحدث عن المبادئ و القيم كاحسن شيخ و يتحدث عن الحريه و الديمقراطيه كافضل سياسى و له مؤلفات قيمه فى الفن الهادف. لكن كل هذا يقف عند حد المال يترك كل هذا وراء ظهره اذا تم التفاوض بين ما يعتقده و المال غالبا تهفو شخصيته وراء المال و زياده رصيده فى البنوك. زوجته امراه فاضله هى بالطبع لا تعلم عنه شيئ كالكثيرين من جيرانه و عائلته. و هى تعمل كمترجمه فى احدى مؤسسات دور النشر و الترجمه و لها اسهامات كثيره فى ترجمة كتب التراث الى لغات كثيره و ايضا اضافت الكثير من الكتب العالميه الهامه فى مجالات السياسه و الادب الى المكتبه العربيه بعد مجهودها المضنى فى التعريب. اعتنت باولادها جيدا و

كانت الثمره ان اصبح احدهم دكتور جراحه كبير و الاخر ملحق ثقافى فى احدى السفارات بدوله اجنبيه. طبعا شبكة علاقات سالم بيه لها دور كبير فى تلك البيئه التى تعيشها اسرته. و الكل تربطهم علاقات الواجب فيما بينهم و يتحمل كل فرد مسؤليات نفسه فهذا هو القانون الذى يسيرون عليه. احيانا كثيره كنت اتسال عن سبب العلاقه بين الدكتور امجد طاهر و سالم بيه الى ان علمت بالصدفه عن طريق كشف حساب وقع بيدى يبين ارقام مبالغ و هى ليست صغيره و ضعت فى حسابات الاسماء المدرجه بالكشف و بينهم سالم بيه و هذا سؤال سابحث عنه الايام القادمه. ربما الاجابه عند الاستاذ حسان و بعد ان رايت شفاه الدكتور امجد قد توقفت فقلت على الفور لست كفء الى هذه الدرجه فسالم بيه ربما يبالغ فى الامر. و هنا احضر الساعى القهوه التى طلبتها و سمعت الدكتور امجد يرد على زر التواصل مع سكرتيره و يقول دعهم يدخلون. و لم تمضى الا ثوان قليله و رايت الحجره قد امتلأت بثلاث اطباء و طبيبه. و قام الدكتور امجد طاهر بتعريفهم الى وقال هذا هو الدكتور نادر كلى و مسالك بوليه و الدكتور حازم قلب و الدكتور عصام كبد و هذه الدكتور علا عيون سوف يردون على اسئلة التحقيق

الصحفى الذى تود عمله. سالم بيه اعتقد انه اخبرك بكل شيء و سوف يكون لك مكافاه كبيره على تحقيقك هذا. اريده ان يكون تكذيبا لتحقيق تلك الصحفيه ريم الخولى التى دابت كثيرا على تلويث سمعة الشرفاء. و لن الجأ الى الاساليب التى نصحنى بها اصدقائى لجعلها تصمت نهائيا و لا تتدخل فيما لا يعنيها. قال تلك الجمله و هو يجز على اسنانه من الغظ و تشعر انه يود لو لم يبوح بما فى صدره امامى.

ها هى الصوره تتضح شيئا فشئا الهذا اخترتنى يا سالم بيه لهذه المهمه. لعلمك اننى على علاقه بريم الخولى ايام الجامعه و احيانا كانت تاتى الى مكتبى فى الجريده لتستفسر عن اشياء تخص عملها. لعلك مخطىء سالم بيه ان كنت تعتقد انه يمكن ان اؤثر على ريم بان تترك ما تراه صوابا. لو كنت سألتنى مباشره فكنت اجيبك بمنتهى البساطه. فلا انكر اننى معجب بشخصيه ريم جدا و هى تستلطفنى لكنى بالنسبة لها الا حاله فريده ربما الصوره الاخرى لكل صفاتها. فهى مغامره الى اقصى الحدود التى يجعلها تواجه الخطر المحدق اما انا فاتراجع عند مواجه اى صعاب. هى قائده و كثيرا ما ناصرت قضايا عامه تخص المرأه و الحريات و تقف بجانب مطالبى حقوقهم و انا اتورای عن اى

تجمع. هى صاحبة راى سياسى و موقف من الاحداث الجاريه و شخصيه فاعله اما انا فاكتفى بالمراقبه عن بعد و انتظر عن ما تسفر عنه النتائج. درجة التقارب بيننا هى رؤيه شيئ ناقص فى شخصياتنا يريد تكملته من الاخر فهى تريد من يسمعها و فقط لانها لا تاخذ قرار او موقف الا بعد الفحص و التدقيق و انا مستمع جيد كما اننى اقرا افكارها قبل ان تنطق بها و هذا ما زاد القربى بيننا ايضا، انا أرى فيها صناعتها لاحداث حياه احلم بالعيش فيها. واهم سالم بيه انت كنت تعتقد اننى يمكن اثنى ريم عما اتخذته من قرار فى تلك القضيه. لكن ما افزعنى هو نبرة التهديد التى المح بها الدكتور امجد فى حواره و لهذا يجب ان اتصل بها لانبهها.

ترك الدكتور امجد الغرفه بعد عن سلمنى نبذه مختصره عن المستشفى و اقسمها و ما تقدمه من خدمات جليله لاشخاص نافذه فى هذه البلد من رجال اعمال و قضاه و وزراء و ايضا ذويهم. و كيف انها مشتشفى عالميه على ارض مصريه. بل فيها ايضا قسم اقتصادى يقدم خدمات للطبقه الثانيه فى المجتمع من وكلاء الوزاره و رجال الشرطه و مديرى الادارات المحليه و لا مانع من علاج ذويهم ايضا وتلك الطبقه تمثل الخط الدفاعى الذى

يصد هجمات باقى المواطنين من الطبقة الوسطى من الشعب الذين لديهم قليل من الوعى اضافته وسائل الاتصال بالعالم الخارجى و كتب المكتبات العامه و الاستماع الى نشرات الاخبار لوكالات الانباء العالميه و الحضور الى ندوات المثقفين الذين لهم اهتمام بالشان العام . و تلك الطبقه هى الامل فى وجود مجتمع متحضر يشمل الجميع. اما معدومى الدخل هم المواطنين الذين يعيشون على الهامش و الغريب فى الامر انهم الكثره من حيث نسب التوزيع فى تلك الطبقات المذكوره. ليس لهم احلام الا ان يمضى يومهم بالستر الذى يضيق احيانا و لا يبقى لهم الا الموت او استعجاله. الطبقه العليا تريد الاحتفاظ بمكاسبها و تلك المكاسب لا تتحقق الا بسحق الطبقات الاسفل منها مع تحمل الطبقه الدنيا النصيب الاكبر من الم السحق. من لديهم وعى و شجاعه من الطبقه الوسطى يعلن التمرد و يثور و ينادى بالعداله اما الطبقه الدنيا لا تطالب شيئ و لا تساعد حتى الطبقه الوسطى التى تنادى بحياه كريمه لها بل الاخطر من هذا مهاجمتها من يساعدونهم دون من يسرقونهم بدعوى الخوف من عدم الحصول على فتات الطبقه العليا التى يسمحون لهم بالحصول عليه لاستخدامهم وقت الحاجه. الطبقه الدنيا معذوره لانها فوق الجهل

عديمة الوعى الذى يفقدها القدره على التمييز بين الصواب و الخطأ. فيكون جهد الطبقه الوسطى مضاعف فى محاربة جهل الطبقة الدنيا و محاربة جشع الطبقه العليا.

هذا ما توراد لذهنى و انا اقرا سطور اوراق دعايا المستشفى. و هنا قام الدكتور امجد من وراء مكتبه و قال لى ساتركك مع الساده الاطباء لاجراء حوارات معهم و اخذ الصور اللازمه و بعد الانتهاء سيكون هناك مرشد معك لعمل جوله تفقديه للمستشفى لتفند مزاعم الصحفيه ريم هذه التى تتقول علينا باننا نمتلك حجرات اسفل ارض المستشفى و تسخدم فى نزع الاعضاء البشريه. و بالفعل اخذت استمع الى كلام كل طبيب و اسجله على جهاز التسجيل الخاص بى. و ما لا حظت فى كلامهم انهم يقولونه كما و لو يقراونه من سطور مكتوبه او يقوم احد بتلقينهم اياه. لا انكر التوجس و الخيفه التى تسربت الى قلبى و انا اتحدث معهم حيث تشعر عند التركيز فى عيونهم بانهم مثل مصاصى الدماء. و كنت اقنع نفسى بان ذلك الشعور ما هو الا تاثير احداث القصه على. و بعد ان انتهيت جاء فعلا مرشدى الذى يقوم معى بجوله فى المستشفى و هو فرد امن و هذا واضح من الزى الذى يرتديه. و بالفعل تفقدت طرقات المستشفى

و لم ادخل الى اى حجره حيث ساكنيها من مواطنين يشعرون بالاستياء عندما يعرف عنهم انهم مرضى. فالمرض عندهم ضعف و هم لا يحبون هذا الوصف فالحياه للقوى. فحقا قوانين الغابه هى التى تسود و ادعاء صفات الالوهيه هى نتيجه العمل الدؤوب لانحسار الدين الصحيح و علو نزعة العلمانيه و الالحاد. و بعد ان انتهيت اخذنى هذا المرشد الى الدكتور امجد مرة اخرى الذى شدد على بسرعة انجاز ما كلفت به مع الوعد بالعطاء الجزيل ان استطعت الوقف امام الصحفيه ريم. و استاذنت منه بعد ان سمع منى اننى ساقوم بعمل اللازم و عند الانصراف سمعت كلمة سالم بيه الذى نطق بها الدكتور امجد و هو يتحدث فى التليفون. و عند السير فى طريق الخروج من المستشفى شعرت بعينان لشخصان تتابعان خطواتى و قذف فى عقلى انها لرجال امن و لكن حدسى اخبرنى بانهها لشخصان اخرين احدهما رجل و الاخرى لامراه.

(5)

و ما ان وصلت قدمای خارج المستشفی الا و ارتفع رنین الموبایل الخاص بی بنغمته المحببه الی نفسی "یاصاحب الهم ان الهم منفرج، ابشر بخیر فان الفارج هو الله". و لکنی اندهشت بان ذر تسجیل الکامیرا للفیدیو یعمل و کانی لم اغلقه من اخر استعمال له فی المستشفی فاوقفته و ضعطت علی زر قبول المکالمه و قلت السلام علیکم فقال لی محدثی سالم بیه ارید ان تاتی الی مسرعا و لا تتاخر ثم کان الصمت بعد ذلك. کنت ارید الاعتذار و تاجیل الموعد للغد لانی اشعر بالتعب الشدید و اثار الصداع عاودنی مرة اخری کان تاثیر القهوه انتهی الی هذا الحد و راسی تطلب المزید فاستسلمت و اتجهت لاقرب قهوه و طلبت من النادل احضارها بسرعه. و انا اتصفح الاوراق التی فی یدی انتبهت علی خیال اقترب من الورق و لما رفعت رأسی لاتبین صاحبه فوجئت انه للدکتور علا الذی یبدو علیها الاضطراب الشدید کانها هاربه للتو من ملك الموت و عندما دعوتها للجلوس اخرجت من حقیبتها فلاشه و اعطتها لی و هی تتلفت یمینا و شمالا و قالت اتصل بی علی هذا الایمیل و ولت هاربه. و لما

تفحصت ما قامت بتسجيله كاميرا الموبايل رايت تسجيل لطرقات المستشفى و تاكد حدسى بانى مراقب من امراه و بالتركيز فى صورتها رايت انها تخص الدكتوره علا.

الدكتوره علا المرشدى فتاه عاديه لم يجود الزمن على شكلها باى لمسه من الجمال بل على العكس الاحداث التى مرت بها جعلتها دائمة العبوس و هذا واضح من كثرة التجاعيد بين حاجبيها و على جانبى شفتيها فهى لم تكن عبوس فقد و انما دائمة التكشير. كلماتها القليله حاده اذ تعبر عن نفس مشخونه على الدوام فهى من النوع الذى يخزن كل مشاعره داخله. فاين تجد من تتحدث معه وهى اذا تحاورت مع احد سمعت صراخا فى نطق الكلمات من الطرفين تعبيرا عن عدم توافق بينهم و لن يكون. و لهذا لم يستمر لها علاقات اجتماعيه سواء من صنف النساء او الرجال. اصول عائلتها من مناطق شعبيه و انطوائها الذى لم تجد مفر منه اكان له نتيجه هى ان جعلها متفوقه فى دراستها. كانت لها احلام ان تستيقظ من نومها و تجد نفسها فى احدى المناطق الراقيه و تعيش مع اناس ليس كاهلها او جيرانها. فوالدها قد هجر والدتها بعد ان علم بانجابها انثى او هكذا علمت و تحملت الام مالا يطيقه بشر فى سبيل تربيه ابنتها الى ان بلغت

الحادية عشر من يومها. لكن القدر لم يمهلها طويلا اذا صدمتها سياره و هى تعبر الطريق عائده الى منزلها بعد اداء عملها الخدمى فى احدى فيلات الحى الراقى بالتجمع الخامس. و ما كان من مخدومها الا ان اشفق على تلك الفتاه الصغيره و قرر ان يوجه احسانه عليها خاصة بعد ان لمس نبوغها و تفوقها الدراسى حتى عن اولاده. و مرت الايام و انتقلت الدكتوره علا من صف دراسى الى اخر بجانب اشرافها على ادارة فيلا مخدومها بتفوق الى ان دخلت قررت الالتحاق بكلية الطب. ناقشها مخدومها فى نوعية الكليه لكنها صممت عليها حتى تخرجت منها و بتفوق يؤهلها الاستمرار فيها كمعيده و ان تتدرج فى المناصب حتى درجه استاذ لكنها فضلت العمل فى مستشفى الدكتور امجد طاهر. ربما لاعتبارات كثيره ترسبت فى وعيها حيث انها لم تنسى النظره النهائيه لوالدتها و هى على فراش الموت كانها تقول لها "لا تحزنى يا بنيتى و لا تحملى هما". و لم تفقهم وقتها تلك المقوله و اسئله اخرى كانت تحتاج الى تفسير لكن عمرها الزمنى لم يؤهلها لذلك و لم يكن يوجد من يهديها اجابه. و من هذه الاسئله كيف اجروا لها عمليه و هى لم تكن تحتاج اليها فلقد كسرت رجلها فقط فى الحادثه . و ايضا

كثيرا ما تسأل نفسها لماذا استمر صاحب الفيلا رجل الاعمال التى كانت والدتها تعمل ببساطه عنده كاحدى الخدم فى دعمه لها الى ان وصلت لمرحلة التخرج بل ان يتوسط لها للعمل فى مستشفى الدكتور امجد طاهر. و لماذا تم نقلها من المستشفى الحكومى القريبه لموقع الحادث الذى اخدتها عربة الاسعاف اليها بعد اتصال من احد شواهد الحادث الى مستشفى الدكتور امجد طاهر الاستمارى الفاخر الذى لا يدخله الا علية القوم. و لماذا قالت لى امى جملة "لا تحزنى يا بنيتى و لا تحملى هما يا بنتى" بعد ان خرج من عندها صاحب الفيلا. و لماذا ماتت امى و لماذا تركتنى وحيده اعانى الندم و الحسره على معايرتى لها طوال حياتها معى و لم اخبرها اننى لم اقصدها هى انما اقصد الظروف التى جعلتنا فى ذلك الوضع. كيف تموت و هى لم تصل الى الدرجه الحرجه فالحادث فقط كان كسر فى الارجل. و اين والدى الذى لم يكلف نفسه عناءا بزيارتنا فقط او يزور امى و هى على سرير المرض هل اصدق ما تتهامس به الناس حولى بانى نتيجة خطأ لامى.

لكن ما عرفته بعد ذلك بمرور سنون عمرها التاليه للحادث ازال عنها العجب حيث انها كانت تعتقد بان رجل الاعمال صاحب

الفيلا يعطف عليها و هى بالتالى تسدد الدين بالتفانى فى ادارة شئون الفيلا و توجيه باقى الخدم لدرجة تحملى اهانة زوجته و اولاده بصبر فاق الحدود. و فى يوم من الايام و انا اقترب من حجرة مكتبه بالفيلا لاعطائه فنجان القهوه اسمع صوتا عالى لشجار يدور بينه و بين زوجته. اردت العوده الى ان ينتهى لكن ما جعل قدماى تتوقف عن المضى قدما هو سماع اسمى فى الحوار و طبعا يسبقه بكلمة الحماره من زوجته بالرغم من كونى فى السنه النهائيه لكلية الطب التى لم يقترب منها احد ابنائها دائمى الرسوب. و يفهم من حديثها انه يجب طردى من المنزل و انى سبب فشل ابنه المتعلق بى، و كيف انها لمحته يحاول دخول حجرتى بالليل معتقده بانى اسايره لغرض فى نفسى بالرغم من انى صددته مرارا و تكرارا و لكنه لا يكون فى وعيه بسبب المحدرات التى يتناولها مع اصدقائه السوء. فوجئت برد زوجها بان والدتها صاحبة فضل عليه الى ان بقى حيا الى هذا الوقت. و انه لولا كليتها التى اقتطعوها من جسدها ما عاش لحظه حيث الفشل كان قد ضرب اطناب كليتيه الاثنين و لم تعد صالحه للعمل بعد ذلك. و ان والدتى اتفقت معه على تلك الصفقه مقابل تعهده لى بالرعايه الى ان تتزوج و لصلته

بالدكتور امجد طاهر تم اجراء العمليه هناك. و ما ادمى قلبى و جعل قدماى تترنح تحتى و لم تقوى على حملى الامر الذى ادى الى سقوط صنية القهوه من يدى و غيابى عن الوعى هو علمى بان والدتى لم تكن تحمل الا كليه واحده صالحه هكذا اخبره الدكتور امجد طاهر. بل اسوأ من هذا ان امى ماتت بعد تلك الحادثه بايام قليله و علمت بعد عملى فى تلك المستشفى انه تم اقتطاع قلبها و جزء من كبدها و قرنية اعينها و باقى الجسد أخذه متعهد موتى يبيع اجزاء منها لطلبة كلية الطب و العظام الباقيه لتجار المخدرات التى يسحقوها و يخلطونها مع المواد المخدره.

عشت حياتى على الارض طارده منها اى فكره عن الخير بل احتقر كل من يسير عليها و انعته بالغباء لانه يضيع وقته و مجهود هباءا. فلا شيئ الا و له مقابل القيم و المبادئ ماهى الا كلمات تخدير للضحايا يقولها فقط الجلادين الى ان يحين وقت اقتناصهم. و الضحايا يرددون هذه الكلمات و فقط ظنا منهم ان من يقولها بحماس ينال الحظوه عند الجلاد فيجود عليه بالفتات التى لا تكون ليس اكثر من لمسة صاحب كلب على شعر راسه فيهز الكلب راسه طربا و يحرك ذيله. هكذا قال رجل الاعمال

صاحب الفيلا لوالدتى بان مثواها الجنه و لها ثوابا عظيم ان هى اعطته كليتها. و ضحت بنفسها فى سبيل ابنتها التى لم تحمل لها الا الاحتقارا و الازدراءا لاستسلامها و جهلها الذى جعلها تصدق وعود مخدومها. هل تراه حافظ عليها بل ما كان يعطيه لى كان مقابل عملى فى ادارة منزله هل صان الجميل و عاملنى كابنته لا فلم يدعونى مره واحده لاجلس معهم على طاولة الطعام بل كنت اتناوله بمفردى او داخل غرفتنى الملحقه بجوار سكن الخدم او فى المطبخ معهم. هل حافظ على عرضى بل لم ياخذ اى اجراء تجاه ابنه الفاسد الذى راه اكثر من مره ينظر الى و الغوايه فى عينيه بل لم يتورع هو الاخر و يحترم سنه عن التحرش بى و عندما كنت اتململ كان يصطنع العفويه و عدم القصد. المثل و المبادئ لا مكان لها فى زمن الرزيله و شيوع قانون الغاب. فكما لا يعاقب السارق فى زمن المجاعه ايضا لا يجب ان يعاقب المدافع عن نفسه فى زمن الفحشاء. كيف له رعايتى و هو لم يستطع ان يرعى حرمة بيته ذاته و لا ادرى ايعلم ما يحدث من وراء ظهره من زوجته و ابنته و يتغافل ام انه يستحسن هذا السوء. الم يسأل مره غيابهما المتكرر و ربما لايام و الحجه منهما النادى او عند زميله لى. الم يرى سواد

السهاد تحت اعين ابنته التى لا تنام نتيجة الاكثار من العقاقير المنومه .

نعم انا من دمرت تلك العائله و لن اتوقف فهذا عهدا قطعته على نفسى و ساستمر للقضاء على كل الضعفاء بلا ذرة ندم واحده و لا تردد، فضميرى مات منذ زمن بعيد. فانا اصبحت لعنه احرق كل من يقترب منى، نعم انا من ابلغت صاحب الفيلا عن المكان التى تمارس فيه زوجته الزنا و لم يكن مجهولا بالنسبه له فهو شاليه مارينا المملوك له. ذهب اليه مسرعا و الشرر يتطاير من عينيه و عندما فتح حجرة النوم وجد زوجته فى احضان احد اصدقائه و هما كما ولدتهم امهاتهم و لم تكن الا ثوان معدوده اخرج فيها مسدسه و افرغ طلقاته فيهما و اغلق الباب ورائه. و ما ان وصل الى فيلته وجد حشد من الضباط فى انتظاره. و استعجب لسرعة علمهم بالحادث و قبل ان يفتح فمه عرفه صاحب الرتبه الاعلى فيهم و قائد الحمله بنفسه و انه من مباحث الاموال العامه و عليه الانتقال معهم فورا الى مدرية امن القاهره للتحقيق. و هناك علم بانه متهم بالتهرب من الضرائب و عليه اقساط متاخره و واجبة الدفع بالملايين للبنوك و التزامات اخرى تجاه العملاء لعدم تسليمهم بضاعتهم مدفوعة الثمن فى الوقت

المتفق عليه. نعم انا من ابلغ الشرطه عليه و سهلت لهم الحصول على المستندات. ادى به الامر فى نهاية المطاف بالانتحار و بيع كل ممتلكاته فى المزاد العلنى و تم طرد اولاده من الفيلا. نعم انا من كنت اسهل لابنه ان ياخذ ما يكفيه من المواد الكيميائيه المخدره و التى على اثر احدى مرات التعاطى وجدوه ملقى اسفل احد الكبارى ميتا نتيجة جرعه زائده و ربما خاف زملائه من المسائله او الفضيحه تركوه غير اسفين عليه فى تلك الحاله. نعم انا من اجبرت زميل ابنة صاحب الفيلا على ان يشاغلها و يصل بها الى حد الخطيئه و اللاعوده. و بالفعل قد تم ما اردت منه و تصويره بالكامل لانه كان منساق لارادتى املا منه ان يأخذ الشيكات التى قد وقع عليها نتيجه اعطائى المال له باستمرار الى ان وصل المبلغ الموقع عليه مائتين الف من الجنيهات و لكن فى الحقيقه هم خمسون الفا فقط. و بتهديدى له بابلاغ الشرطه ان لم يسدد او ينفذ ما اطلبه منه فوافق على ذلك الامر اليسير عليه على ان يأخذ تلك الشيكات بعد حصولى على شريط التصوير. و بالفعل غادر زميلها هذا البلاد مع والده الى احدى الدول الاوربيه تاركا ابنة صاحب الفيلا فى مصيبتها التى لم تدرى ما تفعل حيالها فارشدتها الى احد الاطباء عديمى

الشرف و هم كثر ليرتكب فيها جريمة الاجهاض. و نتيجه لقلة العلم و عدم الخبره ماتت ابنة صاحب الفيلا بسبب وصول الجنين الى عمر اكثر من اربعة شهور و نزفت حتى الموت. هذا هو نهايتك يا من كنتى تعايرينى بفقرى لكن انا من انتصر عليكم و تلك هى الجوله الاولى.

عملى فى مستشفى الدكتور امجد طاهر كان هدفا قررت الوصول اليه بكل طريق و بالفعل بعد تخرجى و توسط رجل الاعمال صاحب الفيلا لى عنده وافق بالرغم من حداثة سنى و قلة خبرتى. لكن عرفت فيما بعد ان لمح فى عينى الشر و التعطش الى الدماء و هذا هو المطلوب للوظيفه التى يعدنى اليها. و بعد استلامى العمل قررت الاعتماد كلية على نفسى و ان استقل بحالى بعيدا عن الفيلا حتى ابعد عن الشبهات لما قد عزمت المضى فيه. و لم يعترض صاحب الفيلا على هذا الامر بل تكفل بدفع ايجار الشقه التى انتقلت اليها. و فى المستشفى انتقلت الى قسم العيون حيث هو تخصصى التى تخرجت منه فى الكليه. مارست المهنه بشكل طبيعى و لكنى فى تلك الفتره كنت احاول ان اجمع كل ما يدين هذا الرجل الذى سلب حياة امى و لم يكتفى بذلك بل باعها لم دفع الثمن. لم يكن لى هدف الا ان

اجعل هذا الرجل يبكى بدلا من الدموع دم و يترجانى ان اسامحه فلا اوافق بل اقطع جسده الى اجزاء صغيره و اقذفها للكلاب و الذى يبقى منها منه اسكب عليه الكيروسين و اشعل فيه النار لكن لكل وقت اجل. و كانت خطتى للتعرف على طريقة سير هذه المستشفى لعلى احصل على ثغراتها هو طريق اموالها التى تدخل و تخرج الامر الذى اثار فى نفسى الهواجس و الشكوك خاصة بعد ان مارست جراحة و نزع الاعضاء الامر الذى حقق لى مكاسب ماليه لم اكن احلم بها. و بالرغم من عدم كثرة المترددين على المستشفى الا ان المبالغ المدونه كبيره جدا تكاد ان تقترب من اصفار المليارات هذا ما رايته بعينى خلسة على احد الكشوفات الموضوعه امام الدكتور امجد طاهر الذى سمح لى بالدخول ليستطلع امرى و حاجتى و دعانى للجلوس و قام بالتوقيع بعد الاطلاع عليها واعطائها لموظف الحسابات الواقف بجواره الذى اخذها و انصرف و اغلق الباب ورائه. هذا الموظف هو الاستاذ حسان الذى وطدت علاقتى به بعد ذلك لتسهيل مهمتى و كان خير عون لى حيث تشابهت اهدافنا. سألنى الدكتور امجد طاهر عن حاجتى فقلت له لدى مشروع سيدر على المستشفى زخما اعلاميا و سيساعدك فى تحقيق طموحاتك

المستقبليه. فاعتدل فى جلسته و قال لم تخيب نظرتى فيك عندما رايتك لاول مره و قال اخبرينى ماعندك. فقالت نلحق بالمستشفى قسما اقتصاديا و لا نكتفى بتلك النوعيه من مرتادى هذه المستشفى الذين لا يأتى اكثرهم الا للوقايه و اجراء الفحوصات و القليل فقط هم من يقومون بعمل الجراحه. و غالبا حالاتهم تكون متاخره للغايه و لا تمكنهم صحتهم لتلقى العلاج بالخارج. لكن افتتاح الجانب الاقتصادى سيكون له مردود طيب عند الطبقات المتوسطه و هم اغلبهم من المثقفين و علاقتهم بالمستشفى قد تكون مفيده اثناء انتخابات لعضوية البرلمان الذتى تسعى عليها. فاستحسن الفكره و قال لها ابداى على الفور و سوف اجعل ثلاثه من زملائك يساعدونك فى هذا الامر. و لمحت فى عينه بريقا كان تفكيره ذهب الى اتجاه اخر الا و هو اتساع سوق تجارته المحرمه و هى تجارة الاعضاء. و بالفعل تم افتتاح هذا القسم و زاد رواده الامر الذى جعل الدكتور امجد طاهر ان يستدعينى و زملائى الثلاث الاخرين الدكتور نادر كلى و مسالك بوليه و الدكتور حازم قلب و الدكتور عصام كبد و اخبرنا انه يود التركيز على نقل الاعضاء لمن يحتاجها من تخصصاتكم. لم نستعجب فى اول الامر فهذا عمل كنا نقوم به

على فترات متباعده فى حالة وجود متبرع و توقيع من اهل المريض و المتبرع بتحمل المسؤليه و كانت تجرى عمليات نقل و زرع الاعضاء بدون اثارة الريبه فى نفسى. لكن ما أسال لعاب الدكتور امجد طاهر و ادى الى توحشه المبالغ التى يحصل عليها. و فكر فى انشاء بنك الاعضاء و اتفق مع شبكه من السماسره المنتشره فى طول البلاد و عرضها لاصطياد المتبرعين و ذلك عن طريق استغلال حاجاتهم للمال و اضطرارهم لبيع اجزاء من جسدهم الهزيل نظير ذلك. و لم يتوقف الدكتور امجد طاهر عند ذلك الحد بل بنى حجرة عمليات و بنك اخر لتخزين الاعضاء اسفل المستشفى اعتمد فى انشائه على فريق من خارج البلاد و الدخول الى ذلك المكان سرى لا يعلمه الا نحن الدكاتره الاربعه و الدكتور امجد طاهر. هذا بعد زيادة الطلب على الاعضاء و بعد ان كنا نقوم بنقل الاعضاء ثم زرعها اصبحنا نقوم بنقل الاعضاء و فقط الى بنوك التخزين، و احيانا كثيره كانت بنية المتبرع لا تتحتمل هذه العمليه فيلفظ انفاسه و يتم اخذ باقى الاجزاء الصالحه و يلقى بالباقى الى متعهدى الجثث الذين لهم شأن اخر بها. كل تلك الامور تجرى فى سريه تامه و بعيده عن السلطات و لم ينته هذا الامر عند

ذلك الحد بل علمت انه كانت تاتى سيارات فى اوقات مريبه بالليل و مجهزه يتم نقل فيها صنايق مملوءه باعضاء بشريه علمنا انا ستصدر خارج البلاد. و لما كانت حصيلة السمامسره فى اصطياد المتبرعين لا تكفى، تم اللجوء الى عصابات مخصوصه لهذا الغرض دربناهم على كيفيه نزع الاعضاء من الضحايا و كانت منتشره بطول البلاد و عرضها. فبعد ان كان هناك متبرعين الذين هم هدف السماسره اصبح هناك ايضا ضحايا كهدف للعصابات التى لم تتورع عن خطف اى احد طفلا كان ام شيخا فتاه كانت ام امراه سائرا كان ام راكبا ماشيا كان او فى منزله و اصبح لهم طرقا مبدعه فى اصطياد الضحايا. بل زاد الامر استفحالا عن طريق قيام بعض العصابات لتغيير نشاطها فبعد ان كانت تتعامل فى تهريب البشر عبر الحدود او فى تجارة الرقيق الابيض اصبح مربحا لهم قتل المخدوعين الحالمين منهم و المصطرين بعد الحصول على اعضائهم و توريدها الى بنك مستشفى الدكتور امجد طاهر. لم يكن احد يرفض العطاء السخى الذى كان يغدقه علينا الدكتور امجد طاهر و ربما لم يكن عندنا اعتراضعلى ما يقوم به. فالدكتور امجد طاهر اختار اعوانه فى هذا الامر بعنايه و كلمته لى عند مقابلته

لى خير دليل و شعوره لتعطشى للدماء الذى ازداد سعاده لرؤيتى له. كذلك الاطباء الاخرين الدكتور نادر و الدكتور حازم و الدكتور عصام فبداية حياتهم العمليه لم تختلف كثيرا عن ما يقومون به. فهم بدأوا حياتهم فى العمل بمستشفيات المعتقلات و السجون و الوحدات النائيه للجيش و الشرطه. و كانت وظيفتهم بدلا من ان يخففوا الالام عن المرضى يكتبون تقارير عن مدى تحمل المريض للالم. هذا الامر جعلهم يستلذون برؤية الالم و يشعرون بالسعاده عند الزياده من الالام. و كانت دائما يحيرنى طريقه التحاقهم بالمستشفى الى ان علمت من الاستاذ حسان موظف الحسابات انهم توصيه من احد ضباط الجهات السياديه الكبار و الذين يدرج اسمائهم فى الكشوف التى يوقعها الدكتور امجد طاهر كل شهر.

انتهى حسام من الاطلاع على محتويات الفلاشه التى اخذها من الدكتور علا و اصابه الذهول من هول ما قرا و ما راه من الصور و الفيديوهات المرفقه و لم يستطع القرار فيما يود عمله. فوضع الفلاشه بجوار الورقة المدون عليها ايميل الدكتور علا و اصبح ينظر اليها اكثر من نصف الساعه. و هو يفكر هل يتصل بسالم بيه ليخبره بما وصل اليه ام يتصل بالصحفيه ريم الخولى

و يعطى لها كل هذه المستندات فهو لا يستطيع المواجهه و ليحذرها من من مخاطر ربما لم تعمل حساب لها ام يتصل بالدكتوره علا لعل عندها المزيد.

(6)

اين انت يا جدى هذا ما قاله حسام فى حوار ما نفسه لماذا تركتنى وحيدا فى هذه الدنيا فانا احتاج بشده اليك. فلقد كنت تفهمنى قبل ان تكلم و تدلنى على الطريق الذى اسير فيه. و هو فى غمرة افكاره قرر ان يتصل بريم الخولى فهى الشخص الثانى فى حياته التى يمكن ان اتحدث معها و ان كانت لا تدرى بحقيقة مشاعرى تجاهها، فانا لم اجرؤ على البوح ما يدور بداخلى تجاهها لاحد. فلا انسى اليوم الذى رايتها تدخل المدرج الا و قلبى خر صريعا فى قدمى. تزداد ضربات قلبى كانها طبول حرب كلما رايتها و تنتابنى رجفه و قشعريره كلما بدات الحديث معها الى ان اسيطر على نفسى بعد فتره من الزمن. تقاربنا حدث لاننا نملك هوايه واحده و هى القراءه و كثيرا ما رايتنى فى المكتبه و هذا شجعها على سؤالى عن اى الكتب افضل لتبدأ فى قراءتها و كان هذا ميدانى الذى لا ينازعنى فيه احد و بالفعل كنت خير معين لها. لقد احببتها حتى اكثر من حياتى ، تقول لى كيف اقول لك انى ارى الاشياء بعينها و اسمع صوتها فى اذنى على الدوام و كان يكفينى ان اتواجد بقربها و

فقط. استمداد حياتى من بقائها بقربى اشعر بانى اطير فى السماء عندما تبتسم كما انى اتحول الى احد عمالقة الاساطير عند رؤيتها حزينه اود لو اجوب الارض لاقضى على من احزنها. عندما اكون بقربها لا اشعر بالزمان و لن اكون مبالغا و المكان ايضا فلن اندم اذا فنيت عمرى انظر اليها بل لو كان لى اكثر من عمر لبذلته فى القرب منها و تواجدى بالقرب منها يشعرنى بانى انتقلت الى الجنان باشجارها الخضراء الباسقه و طيورها زاهية الالون المغرده و شلالات المياه الجاريه. اود ان اخبرك بانى موجود اراكى تلتفتى الى و لا تدركى وجودى كانى شفاف و غير مرئى و كان هذا لا يهم فالمهم انى هو انى احبك. و احب دائما سماع اغنية الرائع مدحت صالح " يهون العمر و يعدى و لا تهونى و يهون الدمع فوق خدى و لا تهونى و لو عشقى فى عيونك هان حاشيلك برضه فى عيونى و لا تهونى". فهى تذكرنى بها كلما اشتقت اليها.

لا ادرى ما الذى دفعنى الى هذا الى التوقف عند هذا الحد من اخبارها بما لدى من معلومات. ربما لهاجس طرأ فجأة بان الامر به خطوره عليها و هذا ما لا استطيع تحمله، ووجدتنى اتجه الى اكمبيوتر المحمول الخاص بى و ارسل رساله الى الايميل الذى

اعطته لى الدكتوره علا و اخبرها فيه بانى انتهيت من الاطلاع على الملفات التى فى الفلاشه و هناك استفسارات كثيره يكون من الافضل لو نناقشها سويا بعيد عن الاعين. و ارسل الرساله و الغريب ان الرد جاء باسرع من المتوقع و عند فتحه وجد عنوان مكتوب و عليه التوجه اليه ظهرا. و ها هو يومه انتهى و نسى تماما سالم بيه فاتصل به على الفور و لكن جاءت رساله مسجله بان الهاتف مغلق او خارج نطاق الخدمه فارسل رساله و اخبره فيها بانه يعد التحقيق المطلوب منه حيث حصل على كل المطلوب و فى عضون يومين او ثلاثه سنقوم بالنشر حتى ينتهى تأثير المقالات المضاده من اذهان الناس و يكون لمقالاته صدى و الاستعجال بنشرها لن يكون له فائده. و بعد ان اعد فنجان من القهوه و اتجه به الى السرير، لم يشعر الا و رنين المنبه يخبره بان الساعه اصبحت الثامنه صباحا. ارتدى ملابسه و توجه على الفور الى الجريده. و ما ان وصل الا وجاء من يخبره بان سالم بيه يطلبه فى مكتبه على الفور. و بالفعل توجه الى مكتب رئيس التحرير الذى باغته بالسؤال اين تحقيق الدكتور امجد طاهر انه انهى حواره معى منذ لحظه و يسألنى لماذا لم يراه فى الجريده هذا الصباح. فاندهشت و قلت لسالم بيه لقد ارسلت لك رساله و

اخبرتك بخطتى فى هذا الموضوع. رساله لم يصلنى شيئ و فى تلك اللحظه فتح هاتفه و قرا الرساله. تاثير مقالات ايه ماذا تقصد و مع ارتفاع فى الصوت ادى الى خروج تلك الجمله بصوره اشبه بصوت حيوانى مع قيامه من الكرسى الذى يجلس عليه ظنا منه انها طريقه جيده فى الاقناع. يا سالم بيه لقد علمت ان الدكتور امجد طاهر يريد ان ينشر سلسله من التحقيقات عن المستشفى و اقسامها و يعلن للجميع انها تعتمد على درجه عاليه من البحث العلمى و التكنولوجيا و كفاءة العاملين بها و يظهر ايضا دورها الوطنى فى المجتمع و خاصة فى تبنيها لحملة تبرعات لانشاء اكبر مركز طبى فى الشرق الاوسط لعلاج فيرس الكبد الوبائى و ذلك ليثبت ان كل ما يشاع حولها محض افتراء و كذب. و اذا قمنا بانزال تلك التحقيقات فى الوقت الذى تقوم فيه باقى الصحف و المجلات بنشر تحقيقات تجارة الاعضاء و تورط مستشفيات كثيره و التى منها مستشفى الدكتور امجد طاهر لن يكون لها صدى و خاصة ان القراء دائما ما يصدقون الامور السيئه. و قال سالم بيه بشبه ابتسامه و قام بارجاع ظهره الى مسند الكرسى الذى يجلس عليه و بدأ فى اشعال سيجاره كانه استحسن الفكره لان هذا الامر سيعلى

مقداره عند الدكتور امجد طاهر، و الاخ الكبيركما يطلق عليه الدكتور امجد فى حواراته التى تتسم بالسريه، و قال ماذا تقترح فقال حسام نعتمد فقط على نشر اعلانات عن المستشفى و اقسامها و الخدمات التى تقدمها لتكون حمله اعلانيه مدفوعة الاجر الى ان تهدأ حملة الصحف الاخرى. ثم نبدأ بانزال التحقيقات التى نعدها الان، فمرة بحوار صحفى عن السيره الذاتيه للدكتور امجد طاهر و انجازاته العلميه و اسهاماته لصالح الوطن، ثم مرة اخرى تحقيق عن مركز الابحاث الذى يمتلكه المستشفى و المجهز باحدث وسائل التكنولوجيا الذى يؤهله لمنافسة نظيره فى ارقى دول العالم. و تحقيق اخر عن كفاءة الجهاز المعاون للدكتور امجد و مؤهلاتهم العلميه و بيان كيفية عملهم كفريق عمل، و نقوم ايضا فى تحقيق اخر بتسليط الضوء على مشروع القضاء على فيروس الكبد الوبائى الذى يتبنيه الدكتور امجد طاهر و يرعاه. اعجب سالم بيه بتلك الفكره و قال له سابحث الامر مع الدكتور امجد و سابلغك بالقرار النهائى الذى على اساسه سننفذ خطتنا. و خرجت من مكتب سالم بيه و انا اتنفس الصعداء بعد حصولى على مهله تجعلنى اجمع كل ما تستطيع يدى الوصول اليه عن هذا

الموضوع لاقرر ما العمل. و ما يشغلنى هو تلك العلاقه الوطيده بين سالم بيه و الدكتور امجد فانها تبدو ليس كما اعلم علاقة عميل هام و ممول للجريده يعتمد عليها فى موضوعات الدعايه و الاعلان.

غادرت الجريده و توجهت الى العنوان المتفق عليه مع الدكتوره علا و عندما وصلت المكان المحدد الذى هو عباره عن شقه فى الدور الثالث بعماره ليست شاهقه فى حى شعبى و ما ان ضغطت على جرس التنبيه الموجود على باب الشقه فؤجئت بالاستاذ حسان الذى استقبلنى بحفاوه و ارشدنى الى اريكه بمنتصف الصاله لاجلس عليها. و هناك وجدت الدكتوره علا تجلس على احد الكراسى المجاوره فالقيت عليها السلام و جلست. و بدات الدكتوره علا بالحديث و قالت هل لديك خطه على ما وصل اليك من معلومات و تعجبت من الدخول السريع فى الموضوع و لكن يزول العجب بعد ان علمت بعد فتره من التعامل معها ان شخصيتها هكذا اهداف تسعى الى تحقيقها من اسرع الطرق. فقلت لم اصل الى خطه نهائيه الى ان اتمكن من تجميع اكبر قدر من المعلومات حتى تكون خطوات الخطه واضحه و نسبة النجاح لها عاليه و خاصة فى الاستعداد للامور

الغير متوقعه. و لتقليل نسبة الامور الغير متوقعه لابد من الحصول على اجابات عن استفسارات غامضه. و عند تلك النقطه دخل الاستاذ حسان باكواب من الشاى و قال و ما هى الامور الغامضه عليك و بعد ان صمت، اخذت الدكتوره علا دفة الحوار وقالت ماذا تريد اكثر من ما وصل اليك فى الفلاشه. فبعد ان اخذت كوب الشاى الذى يجعل تركيزى عالى و لكن ليس كالقهوه و اخذت منه رشفه فى محاوله لترتيب الافكار و تحديد نقطة الانطلاق خاصة و انا ارى الترقب و الحرص فى عيونهم الاثنين. اولا اريد ان استفسر عن علاقتكما معا و ما هى المصلحه التى تعود عليكم من هذا الموضوع و ارجوكم لا داعى للكلام الانشائى من قبيل مصلحة البلد و القضاء على الفساد و حقوق الفقراء و العداله الاجتماعيه فهذه الامور تصلح للتنظير فى الندوات و تأجيج حماس الجماهير كما يفعل اى متحدث تحفيزى لغرض الحصول على شعبيه كبيره يستخدمها فى تحقيق اغراض خاصه له و الحالمون هم من يصدقونهم. و هل اصدق مثلا ان السير فى هدم تلك المؤسسه التى بالطبع تدر عليكم الدخل الوفير الذى ليس بالقليل لن يؤثر عليكم الا لوجود هدف اعلى تسعون اليه يجعل الحصول على المال امامه شيء

تافه. قالت الدكتوره علا احب الصراحه و الوضوح فى التعامل حتى و لو كانت قاسيه لانها تجعل الصوره واضحه و تفاصيلها يمكن الاعتماد عليها عند اخذ قرارات و بما انه قد بدأت من هذه النقطه فاقول عن نفسى ان لى ثأر مع الدكتور امجد فببساطه هى ان امى كانت احدى ضحاياه و كنت انتظر اللحظه المناسبه لأأخذ حق امى لتهدأ فى قبرها. و ما ان وضعت قدمى فى تلك المستشفى الا و انا اسعى فى تجميع كل ما يهدمها حتى يفقد الدكتور امجد كل الوسائل التى يرتكز عليها فى الدفاع عن نفسه و اولها المال. و يصبح وحيدا سهلا بعد ذلك فى اصطياده لكن اتضح ان هذا ليس سهلا فله سلاح اخر يعتمد عليه و هو النفوذ. فلقد علمت ان له صله قويه باحد رجال البلد النافذين فى احدى الجهات السياديه و التى تهدف الى السيطره على العباد ليسيروا على المسارات المرسومه من قبلهم و يطلقون عليه افراد شبكته الاخ الكبير.

ارتفع صوت الاستاذ حسان بالكلام ليقول هو الاخر انى لست ملائكا و لا يهمنى تلك المواضيع التى تتناول الفساد و العداله و الفقراء، انما اريد ان اتطهر بالتوبه لاراحة ضميرى من العذاب و ان اترك صف شهداء الزور و الشياطين الخرس و اقول

الحقيقه و اتكلم و لو مرة واحده فى حياتى لاناصر الفضيله و ازرع الخير. و الرساله النهائيه التى جعلتنى افيق من حبى للدنيا و تجميع المال و فقط هو الحادثه التى فقدت على اثرها ابنى الوحيد. ففى يوم من الايام ودعت زوجتى بعد ان استقلت ميكروباص من موقف السيارات المتجهه الى الصعيد هى و ابنى لتحضر مناسبه زواج احدى القريبات لنا فى البلده. جائنى اتصال بعد اكثر من ساعه يخبرنى بان حادثه وقعت للميكروباص نتيجه السرعه الجنونيه و عدم صلاحيه السياره و الطريق لتلك السرعه و ان سياره اسعاف اخذت بعض المصابين و منهم زوجتى و ابنى الوحيد الى احدى المستشفيات القريبه من الحادث و اعطانى العنوان. و على الفور توجهت اليها و وجدتها فى حاله قريبه جدا من طريق الموت و اما ابنى فدخل طريقه بمسافه كبيره جدا و تم وضعه بالمشرحه و اخبرنى احد الاطباء انهم سيعالجون الكسور فى الارجل و القفص الصدرى و مضطرين لازالة الرحم ايضا لوجود مشاكل طبيه فى منطقة الحوض و يجب عمل هذا الاجراء. لم تقوى قدماى على حملى بعد ذلك و لم افق الا و انا اجد نفسى ملقى على احد الاسره بجوار زوجتى. و وافقت على على كل ما قاله الطبيب و قمت

بدفن ابنى الوحيد بيدى هاتين و انا يداخلنى شعور بان ما حدث هو نتيجة ذنب الصمت بالرغم من معرفة الحقيقه و يجب ان اتوب منه الامر الذى جعلنى لم اعود الى سابق حياتى سويا و لم اشعر براحه سواء فى استيقاظى او نومى. و طلبت زوجتى التى كرهت الحياه هى الاخرى بعد شفائها ان تذهب الى اهلها فى بلدتنا فقمت بتوصيلها اليهم و لا استطيع وصف حالة الرباط المقدس الذى يربطنا سويا تلك الايام فهى لا تريد العوده الى تلك البلده التى تذكرها بفقدان سبب حياتها و املها فى المستقبل و انا لم اضعط عليها و قررت ان اتوب و اتطهر لعل الله يغفر لى و اشعر بالراحه لكنى لم اكن اعرف الطريق. و لكن كما يقولون القشه التى قصمت ظهر البعير هو طرد الحاج محمد من هذه المستشفى لاخلاء المسؤليه بعد اخذ كليته ليذهب الى مستشفى حكومى يصارع فيها الموت و ليس بجواره احد الا زوجته. فهذا الرجل له افضال كثيره على يكفى انه هو السبب فى توظيفى بتلك المستشفى عن طريق وساطته لوالد الدكتور امجد حيث كان يشرف على المزرعه التى يمتلكها فى احدى محافظات الصعيد القريبه لبلدتنا. و فى يوم من الايام جاء الى انه يريد ان يتبرع بكليته نظير مبلغ من المال لا يريده لنفسه انما ليستعين به فى

تجهيز ابنته التى اوشكت على الزواج. و هذا الرجل له نفس عزيزه لا يريد ان يستدين من احد لانه لا يعرف كيف يسدده، و انا الذى اوصلته الى المستشفى. فهانت على الدنيا بعد رؤيتى له و هو يصارع الموت و حددت هدفى و عرفت اعدائى الذين قررت ان احاربهم بكل ما استطيع فهم السبب فيما وصلنا اليه من سوء الحال الذى جعلنا نشعر بان الحياه و الموت سواء، بل فى احيانا اخرى شعور بالخدر لذيذ يسرى فى اوصال الجسد و انت تتحدث عن الموت و لكن تستيقظ بمعرفة جزائه الاليم فى الاخره. و ان انهاء النفس قرار ليس بيدك و انما بيد الاله الخالق الذى نفخ الروح للحياه، كذلك الجسد و اعضائه ليست ملكك و لست حر التصرف فيها سواء بالتبرع او البيع فهى لمن خلقها، و نقلها الى اجساد اخرى يشبه فى رأيى كاختلاط الانساب. و فى يوم القيامه و اثناء الحساب تشهد الاعضاء و الجوارح عن افعال النفس التى تسرى فيها اثناء حياتها فى الدنيا بعد الختم على الافواه لكى لا تتكلم فعن اى نفس ستتحدث و هذا سؤال يجب البحث عن اجابه له. كما ان نقل الاعضاء لن يزيد فى الاعمار لان لكل اجل كتاب و التداوى مطلوب بما لا يسبب ضرر. فتحول الموضوع من اطاره الرئيسى بمعنى تحوله فى مساعدة

مريض على العلاج الى اعتباره تجاره اوجب مفاسد اكثر من المصالح و القاعده تقول درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. فاعدائى من هذا المنطلق كثير هكذا قال حسان لكنى اعرف واحدا و هو الدكتور امجد الذى لا يرعى فى الله الا و لا ذمه فهو وحش يقتات على دماء و اجساد البشر و يجب ان يوقف عند هذا الحد. اليس ابنى الوحيد مات بسبب الفساد فكيف تم اعطاء رخصة قياده لهذا السائق الذى لا يلتزم بقواعد المرور و طرق سلامة المهنه كما ان شهود الحادث ذكروا انه كان مخمورا و لم يستمع الى نصائحهم بالبطء فى القياده. اليس من استلم الطريق و هو غير مطابق للمواصفات و به الكثير من الحفر التى يفاجئ بها السائق فتختل عجلة القياده او تنفجر اطارات السياره الامر الذى يؤدى الى انقلاب السياره و موت من بها و ما هذا الا بسبب الفساد و هو عدونا الاكبر و الدكتور امجد احدهم. درجة القربى فى الجوار بين اهلى و اهل الدكتور امجد و كفاءتى فى المهنه جعلته يقربنى اليه و يطلعنى على الكثير من الاسرار. و لكن لا اسرار حين يكون فى كتمانها اضرار.

قالت الدكتوره علا بعد قرارى بتجميع كل ما يجعلنى استطيع ان اهدم تلك المستشفى بدأت بالتعرف على الحسابات المعلنه و الغير معلنه و بالفعل تقاربنا انا و الاستاذ حسان لما حدث توافق فكرى فى الاهداف. و بالفعل اطلعنى على الكثير من حسابات المستشفى و خاصة الكشوف السريه التى يدرج فيه مبالغ الشركاء و عمولات السماسره و المبالغ المدفوعه للعصابات. و اظن اننى اعطيتك نسخه منها فان كنت تريد البحث عن اماكن هؤلاء و التحرى عنهم فلك الخيار و هذا لا يهمنى اما ما اريده هو توجيه اتهام للدكتور امجد و فرض الحراسه عليه و تغيير سياسة المستشفى و ادارتها.

و اما حسان قال ما يهمنى هو ان هذا الفساد يقف عند هذا الحد و استطيع ان ارد جزء من جميل الحاج محمد على و ربما يساعدنى فى عودة زوجتى الي مرة اخرى فانا لا اريد الا العيش معها حتى و لو بدون اولاد. و للعلم فزوجتى هى الاخت الصغرى للحاج محمد و كانت فى رحلتها المشئومه التى انتهت بالحادث الذى اودى بحياة ابنى ذاهبه لحضور عرس ابنته فزوجتى هى خالتها. و ما علمته بعد ذلك عن العروس و اخيها زادنى اصرار على المضى فيما قررت فعله للتخلص من

الفساد. فوجود اناس اعداء للحياه الذين هم و سيلة الفساد سواء فى البر او البحر او الجو كالطفليات حياتها لا تستمر الا على الشرور التى تقتات عليها. و هم المفسدين الذين لا يهم الا مصالحهم الشخصيه و فقط و يستعملونهم لهذا الغرض و فى لحظة المواجهه يتخلصون منهم فى مكبات النفايا البشريه. و لا يتجرع الالام الا الضحايا من مكتسابات فعال المفسدين الذين لا يفعلون الا انتظار ما تسفر عنه الاحداث حيث انهم غير فاعلين. ربما عن عجز او ربما عن كسل سيان فالنتيجه واحده و هم من يتحملون الفاتوره كامله و اشد الالم على الكسالى الذين تنبههم النتيجه و لا يبقى لهم الا الندم على عدم اخذ اى اجراء زياده على ما يشعرون. و لهذا لن اكسل و قررت اخذ اجراء و اتفقت مع الدكتوره علا الى اعطاء بعض المعلومات الى الصحفيه ريم الخولى للتصعيد فى المواجهه و الانتقال بها من مرحلة التجميع للمعلومات الى استغلالها. لكن علمنا بان الدكتور امجد اهتم بهذا الموضوع و طالب سالم بيه بالقيام بالدفاع لهذه الهجمه الشرسه لان العواقب ستكون كارثيه اذا تحول لراى عام و ان الاخ الكبير غير راض عن سير الامور فى الفتره الاخيره، فكان القرار ان ننتظر من سيأتى للقيام بهذه المهمه من الجريده. و

لهذا انتظرتك و اردت اخبارك بحقيقة الامور خاصة و نحن نعلم نواياك مسبقا نحو التعمق فى المواضيع و عدم الاعتماد على اسلوب الاثاره و السطحيه فى تناول الامور. هذا من خلال متابعة كتاباتك التى تناولتها فى تحقيقاتك بالجريده سواء فى الفن او الحوادث او اقضايا المطروحه. لكن القرار الذى ستنحاز اليه هو ما يقلقنا و هذا هو السبب فى مقابلتك هذا اليوم.

(7)

اخذ حسام اخر رشفه فى كوب الشاى المقدم له فى بيت حسان و نظر اليه و الى الدكتوره و قال اما و قد علمت نواياكم و اشعر بصدقها و حقيقة العلاقه بينكما. لا يبقى لى الا بعض الاستفسارات التى تدور فى ذهنى و التى عليها سنقرر ما يجب ان نعمل عليها سويا حتى يكتمل الموضوع لكن باسرع ما يمكن حيث الوقت ليس فى الصالح و ثمة امور ترتب فى الخفاء. و ها انا مبدئيا اوافق على توحيد اهدافى معكم كنوع من التحدى الشخصى لذاتى التى تفضل دائما اتخاذ موقف المتفرج و كان الامر لا يعنينى. فحياتى دائما كانت على الهامش ليس لى قضيه ابذل فيها اوقات عمرى و اشحذ فيها افكار عقلى. فلقد كنت اقضى وقتى فى الحصول على المعلومات و كفى لكن اتضح لى ما فائدة المعلومات الا لم يكن لها مردود على ارض الواقع و فى الخير طبعا.

الاستفسارات التى اريد ان اعرفها و هى العلاقه بين سالم بيه و الدكتور امجد و الاخ الكبير و هل هناك اشخاص اخرين نافذين فى هذا الموضوع. مكان اجراء العمليات السرى و بنك حفظ

الاعضاء. اسماء الشركاء و اصحاب المصلحه و اسماء السماسره و اماكن تواجدهم و اسماء العصابات و اسلوب التواصل معهم. قالت الدكتوره علا بالنسبة لمكان اجراء العمليات و بنك حفظ الاعضاء فلا مشكله فيه فسوف اخبرك به فى الوقت المناسب، فقال حسام و ما هو الوقت المناسب فكان جوابها فى حالة المواجهه النهائيه التى تبدأ السلطات الامنيه استلام زمام الامور و اريد ان يكون هذا الامر سبيل نجاتى. و قال حسان بالنسبه الى اسماء الشركاء و السماسره و العصابات فهى امور هينه و ساعطيك كشف المعلومات لكن بعد معرفة ما هى خططك فى هذا الموضوع. فما معك من اسماء هو احدى الكشوف و المبالغ التى تخص بعض من المجموعه المذكوره، دورى هو المساعده فى مرحلة جمع المعلومات اما تحليلها و استخدامها فى المواجه فهى تخصك وحدك، و لانى متفق مع الدكتور امجد فى حالة الضروره القصوى سيتم احراق جميع الاوراق التى على نفس الشاكله.

ها انتم وضعتم الكره فى ملعبى و تريدون ان تراقبوا الامور من بعد. لكنى اخشى اننى لست الشخص المناسب لذلك و خاصة فى جزء المواجهه هذا اما فيما يخص التحليل و التخطيط فهذا

ميدانى و اجيد اللعب فيه. و لهذا اقترح عليكم انضمام شخص اخر اثق به يستطيع قيادة المعركه فى حالة المواجهه. فنظروا فى دهشه و استغراب عندما نطقت الاسم و هو ريم الخولى. فقالت الدكتوره علا انها كانت فى مرحلة اثارة الراى العام و انا من ارسلت لها جزء من المستندات لتستطيع عمل تحقيق صحفى يثير الراى العام بعد اتصال حسان بها بهدف تعريف الناس بقصة الحاج محمد. لكن لا مانع اذا كنت تثق فيها و لكن يجب ان تعلم جيدا ان كل من يمت بصله من قريب او بعيد بهذا الموضوع فحياته فى خطر و ربما تنتهى فى لحظه. سرت قشعريره فى بدن حسام الذى تحسس رقبته و قال كيف. فقالت كانها تريد ان لا ينسى ان الدكتور امجد ليس بمفرده فهناك شركاء نافذين فى الامر و سقوطه قطعا سيسبب لهم الحرج حتى و لو كلاما و هذا لا يجعلهم يتفرجون و فقط انما يريدون ان يبقوا بعيد فى الظل و لهذا يقضون على كل من يسلط الضوء عليهم او حتى الاقتراب منهم. قال حسام اعلم ان هؤلاء الشركاء يدهم تستطيع الوصول الى اى مكان و فى اى وقت و الموت اسهل طريقه يقومون بها و المبررات كثيره. احيانا يقومون بالاغتيالات المعنويه من تشويه السمعه مثل تقاضى رشوه و

تلفيق تهمه اختلاس او احداث اضطرابات حول عمله او حياته او الحاق تهمة الشذوذ له او الابتزاز بماضى اسود له كل هذا لمن يعترض طريقهم او يعارضهم و لكن فى حالة الانصياع لهم يغدقون عليهم بالنعم كمثل الثرى يقذف ببقايا لحم منضدته للكلاب و يضحك حين تهز رأسها و ذيلها لكن ما ان نبحت و كشرت على انيابها سلط عليهم اعوان لهم اخرين من فصيلة الذئاب. لكن حتما لن يستطيع اطعام الذئاب و الكلاب على الدوام لانهم مع مرور الايام تزداد شراهتم كما ان الاعوان و الشركاء فى مرحلة معينه سيثتكثرون عليه ما يناله و هم صاحب الفضل الاكبر فيه و فى اللحظه الحاسمه سينقلبون عليه. و خططى هى اولا الحديث مع ريم الخولى و معرفة رايها فى هذا الامر ثم الحصول على كشف المعلومات منك يا حسان لأبدا بتجميع كافة المعلومات عن السماسره و العصابات و وضع خطه تقوم على محاولة التخلص منهم رويدا رويدا لتفتيت القوى لانهم هم الكلاب و الذئاب التى تستخدم فى المواجهه و ذلك بالبحث عن احد الطامعين منهم و العمل على انضمامه لنا لكن بشرط عدم التعرف على اى احد من الفريق. و خطوه اخرى و هى هامه فى ذلك الموضوع و هى الوصول بهذا الامر الى احد الشرفاء

النافذين فى تلك البلد و يكون على صله وثيقه بالسلطات الامنيه و هذا ما سافكر فيه مع ريم و ناخذ بشأنه قرار. و يجب ان لا نتقابل بعد اليوم و كأننا لم نعرف بعضنا البعض لان هذا افضل لنا جميعا و خاصة لسلامة حياتنا. و انا ساستمر فى مسايرتى للموضوع و المماطله فيه مع سالم بيه لحين تجميع اكثر الخيوط و الله الموفق.

خرجت الدكتوره علا من الشقه لممارسة حياتها بشكل عادى و كذلك خرج خلفها حسام من طريق اخر و نظر اليهما من الشرفة حسان و تابعهما حتى غابا عن الرؤيه و هنا علا صوت الاذان لصلاة العصر فنزل ليؤدى الفريضه لكن شيء ما جعله لا يرتاح الى رؤية سياره غريبه تقترب منه فى المنطقه التى يسكن فيها لاول مره و فى غمرة تفكيره جذبه احد الماره من امامها بسرعه حتى لا تصدمه و اطمأن عليه جيرانه و حمدوا الله على سلامته و اخذوا يكيلوا السباب لسائقها الذى اختفى من المشهد تماما.

فى الطريق ارتفع رنين الهاتف باغنية "يا صاحب الهم ان الهم منفرج .....". ضغط حسام على زر الرد و سمع صوت سالم بيه على الطرف الاخر يخبره بان خطته جيده و عليه ان يقوم

بتنفيذها. و بعد غلق التليفون ارتفع رنين الهاتف مرة اخرى باغنية "يا صاحب الهم ان الهم منفرج ....." فاعتقد ان سالم بيه اخطأ فى الاتصال مرة اخرى و هم بعدم الرد لكن فؤجىء باسم حسان و بعد الضغط على زر الموافقه جاءه صوته كأنه نجا حالا من مطاردة ذئب له و فهم منه انه ارتاب فى سياره غريبه حاولت دهسه و عليه اخذ حذره ربما يكون مراقب و اغلق الهاتف. توجه الى المقهى الذى اعتاد شرب قهوته ليستريح و يرتب افكار فيما سيقوم به فى هذه الاحداث التى فرضت عليه. تفكيره يخبره ان يطلب من سالم بيه ان يعفيه من هذه المهمه برمتها و ينسى هذا الموضوع الذى لن يكون من ورائه سوى المتاعب بل اقصاها و هى انتهاء حياته و حياة من يحب. اثارت هذه الكلمه انتباهه و مع رشفة من فنجان القهوه قرر انه سيخوض هذه المعركه ليحمى ريم من ان تتعرض لاى مخاطره ربما لا تدرى انها دخلت عش الدبابير و عليه تنبيهها. و هذا ما قرره و بالنسبه لسالم بيه سارسل اليه تصميم اعلانى للشركه يقوم بانزاله فى مكان محدد بالجريده و اسفله نبذه عن الشركه لمدة اسبوع تتجدد كل يوم حسب الوضع المتفق عليه معه.

اخرج هاتفه الجوال و بحث عن اسم ريم فى قائمة الاسماء و اخذ ينظر الى صورتها التى تجمعهما معا. تلك الصوره استدعت من ذاكرته زمن التقاطها حيث انها اخذت فى احدى الندوات الثقافيه التى تنظمها اسرة نور الحقيقه ايام الجامعه. و تظهرها الصوره و هى تناقش الضيف برأيى مخالف لما طرحه فى محاضرته التى كانت تتناول حقوق المرأه و انا اجلس فى الصف الثانى ورائها مباشرة. و لا انسى كمية التصفيق الحاد من كل الحاضرين عقب انتهائها من طرح وجهة نظرها بكل وضوح وقوه. تلك الصوره محفظوفه على هاتفى و التى اخذتها من مسئول الدعاية فى اسره نور الحقيقه. و عند الضعط على زر الاتصال جاءنى صوتها من الطرف الاخر بكلمة السلام عليكم ريم الخولى تتكلم من المتحدث. بارتباك واضح فى صوتى قلت لها اهلا ريم انا حسام المرشدى زميلك فى الكليه الذى ..... . قاطعته بقولها اهلا حسام اين انت الان لم ارك منذ الكليه لكنى متابعه انتاجك الصحفى و ان كان قليل و لكنه متميز. اصابنى الوجوم و الدهشه هل انا امر فى خيالها حتى و لو لحظه هل فعلا ما زالت تتذكرنى فهذا كان منتهى املى و رددت بسرعه شكرا كثيرا لك استاذه ريم هل لى ان اطلب ميعاد

لمقابلتك. قالت ما هذه الرسميات استاذه و تحديد موعد للمقابله مازلت كما عرفتك فى القدم تحترم الحدود فى العلاقات و لا اخفيك سرا هذا ما كان يعجبنى فيك كونك مختلف عن الاخرين، فانا اسمى ريم و فقط و يمكنك ان تزورنى فى مكتبى فى اى وقت او اقول لك يمكن ان نتقابل فى الكافتيريا الموجوده اسفل مبنى الجريده التى اعمل بها بعد ساعه حيث هى فتره راحة الغذاء و فرصه نتناوله معا سلام اراك بعد ساعه. و لم يصدق نفسه انه سمع صوتها و انه سيجلس معه بمفرده و سيتناول الغذاء معها ايضا بعد ساعه فهذه هى السعاده التى لم اتخيل يوما حدوثها. ما زالت نبرات صوتها يتردد صداه فى اذنه و اخذ يحرك شفتاه بكلمات حوارها و هو يسبح فى جو من الاثاره و الغبطه و لم يفق من تلك الحاله الا على صوت اجش يقول تطلب سياتك اى شيئ اخر فقال له شكرا و اعطاه ثمن مشروبه و ترك القهوه فى اتجاه الكافتيريا. امسك النادل النقود و هو يرفع صوته الباقى يا بيه و عندما لم يلتفت اليه حسام ادخلها فى جيبه و يتمتم بكلمات "امال كان عمال يشاور ليه .... ". استقل حسام تاكسى و اعطى السائق العنوان و عاد الى تذكر كلمات حوارها ليستدعى تلك الحاله التى شعر فيها بالسعاده و ربما بقصد او

بدونه اشعل السائق المذياع على اغنية للرائع عبد الحليم حافظ " ... و نجمه مسكتها بايدى و كانت فى السمااااا بعيده ...." مما زادت حالة الخدر اللذيذ فى جسدى و غاب عقلى فى ذكريات جمعتنى بريم فى الايام السابقه. لكنى اسمع صوت من داخلى كانه ينادينى ان اعود ثم بدا عقل يسأل لماذا توقفت السياره عن استمرار التحرك لماذا يحرك السائق ساعده هكذا لماذا توقف صوت الكاسيت ..... عاد الى وعى عندما هز السائق يدى و تلاشت فقاعه الاحلام و نقدت السائق ما يريد و توجهت الى الكافتيريا. و على احدى المقاعد الفارغه جلست عليها و طلبت من النادل فنجان من القهوه و سألته عن الاستاذه ريم الخولى فقال ميعادها بعد ربع ساعه من الان. اخذت رشفه من الفنجان و انا انظر الى المنظر البديع امامى لجريان النيل و سير مراكب الصيد به و الاشجار المجاوره على ضفافه و الطيور التى تروح و تغدو على اغصانها. سبحت فى ذكرياتى مع ريم و تقاربننا من بعضنا البعض بالرغم من اختلافنا الظاهرى ربما فى كل شيء. فانا انطوائى و هى شخصيه اجتماعيه و انا افضل الهدوء و هى تفضل الحياه الصاخبه و انا اميل الى التريث فى تناول المواضيع خاصة التى تتطلب قرار انما هى اندفاعيه و

تتحمل نتائج قراراتها. لكنى لا انكر ان هناك جزء فى تكوين شخصيتى يتمنى ان يكون مثلها و اعتقد هى كذلك و ربما هو سبب تجاذب ارواحنا لبعضنا البعض. لا انسى ابدا اول مره التقيتها، كان ذلك فى بدايه العام الجامعى الاول بكلية الاعلام جامعة القاهره بالمكتبه، انتبهت على صوت ملائكى يسأل المشرفه عن اسم كتاب و هى ترد عليها اننا لا نمتلك الا ثلاث نسخ اثنين منهم استعاره خارجيه و الاخر يقرأ فيه هذا الاستاذ و هى تشاور على. ارتبكت على اثر هذه الاشاره و هممت بالوقوف و ان اغلق صفحات الكتاب و اعطائه اليها مع نطقى باننى انتهيت. فقالت لا داعى ساعود فى وقت لاحق و كان ردى ان موضوع الكتاب تم تناوله فى اكثر من كتاب و اعطيتها اسمائهم و لاحظت اندهاشها من كم اسماء الكتب. و كان ردها هل قرات هذه الكتب فكان ردى نعم و غيرها كثير فاستاذنت من مشرفة المكتبه و قالت هل تسمح ان نجلس لاستفسر منك عن بعض الامور فكان ردى بكل سرور. فقالت ان اسمها ريم الخولى فى السنه الاولى و اود ان اكتب بحث عن موضوع الحريات و ضواطها و اثرها فى تنمية الامم و تقدمها. فرشحت لها العديد من الاسماء للكتب التى تتناول ذلك الموضوع و ابديت

رغبتى فى مساعدتها اثناء اعداد البحث فرحبت و صرنا اصدقاء. و عندما همت بالانصراف قلت لها اننى اتواجد يومى السبت و الاثنين فى المكتبه من الساعه الحاديه عشر صباحا و انا اسمى حسام المرشدى طالب فى الصف الثانى بالكليه. و تعددت لقاءاتنا فى المكتبه و تناقشنا فى العديد من الموضوعات و تبادلنا الكتب. زاد من تقاربنا بعد ذلك انشطه ثقافيه مارسناها سويا منذ التحاقنا باسره نور الحقيقه بالكليه التى من احدى انشتطها استضافة احد رموز الفكر لالقاء محاضره و المناقشه حول موضوعها. و من انشطة تلك الاسره ايضا الرحلات الى الاماكن التاريخيه من المتاحف و المعابد الفرعونيه و القبطيه و الاسلاميه. ها انا اتذكرها الان و هى تعلى بصوتها فى احدى الوقفات الاحتجاجيه التى تناصر الحريات و التى تتضامن مع اصحاب الحقوق و ايضا نشاطها البارز فى النشر الذى يتضمن القضايا الهامه مثل قضايا الفساد و سلبيات الجهات التنفيذيه. بالرغم من تعرضها لكثير من المتاعب نتيجة مواقفها الا ان هذا لم يثنيها عن الاستمرار فيما تعتقده انه صواب. كل تلك الاحداث و انا فى الخلف لم اشأ ان اكون فى الصوره فهذا لا يعنينى اما ما كنت اهتم به هو ان اراها سعيده اشبع رغبتى فى العطاء

العام من خلالها. فمادة الموضوعات التى كانت تتناولها كان لى دور كبير فى تجميع الماده الخام لها و لم اتكاسل عن اى وقفه كانت تشارك فيها فانا اساهم و لكن بطريقتى الخاصة و بامكانياتى و قدراتى. تخرجت قبلها من الكليه و التحقت بجريده "الحدث" التى يرأس تحريرها سالم بيه المنفلوطى و الممولة من رجل الاعمال الدكتور امجد طاهر. و هى تخرجت بعدى بعام و التحقت بجريده "الوطن اليوم" الناطقه باسم الحزب السياسى "طريق الثوره". و انا فى خضم سيل هذه الذكريات انتبهت على نبرات صوتها الذى له القدره على اهتزاز نبضات قلبى الامر الذى يجعله يضخ الدم بوفره فى الشرايين ليظهر اثر ذلك على صفحتى خدى و أظل فتره للعوده الى حالة الاتزان النفسى و اسيطر على مخارج الحروف. اخبارك ايه حسام لماذا لم نتقابل بعد الوقفه الاخيره امام دار القضاء العالى التى كانت تندد بالاقاله للاستاذ الدكتور اشرف الحديدى من منصبة كوزير للزراعه نتيجه موقفه من استيراد القمح المسرطن. لعلك رايت انحيازه نحو الوطن و المواطنين فى اثناء حضور ندواته بالحزب الذى يرأسه "طريق الثوره". اهلا ريم لعلك لم تعلمى انه قد تم اقتيادى الى احد اقسام الشرطه التى عاملتنى انا و من

تم القبض عليهم بكل معانى الاهانه و لم يتركونا الا بعد اخذ وعود من عدم تكرار ذلك و اثرت السلامه. و لعلك تعرفين رأيى مسبقا فى تلك القضايا و هو كيف اناضل من اجل قضيه اصحابها يفضلون الوضع كما هو عليه بل الاخطر من ذلك يهاجموننا و منهم ايضا هؤلاء الضباط و امناء الشرطه و العساكر. فاننا نريد لهم حياه سعيده و قضيه مثل استيراد القمح المسرطن التى اثبتت التحاليل التى اجريت عليها انها تسبب السرطان فهل لن ياكلوا منه او لن يصل الى اى فرد من ذويهم. باى منطق يفكرون و يتخذون قراراتهم هل امتثالهم للاوامر اعلى عندهم من نتيجه هذه الاوامر. ها قد اوحشتنى تحليلاتك يا حسام و افتقدك كثيرا و كنت ابحث عنك لكنى اعلم ربما تفضل العيش فى كهفك التى تحب الالتجاء اليه و لهذا لم ارد ان اتطفل عليك بالرغم من احتياجى اليك فى الفتره الاخيره. كلماتها هذه حركت بركان المشاعر فى نفسى الامر الذى اود ان انهض و بسرعه و اخذها فى حضنى لاحميها من اى مخاطر و لكن قلت ماذا بك. انا ايضا يا حسام تم اقتيادى الى قسم الشرطه و لكن الدكتور اشرف باتصالاته قصر مدة الحجز و الاهانه تلك المره المهم ما هو موضوعك الذى طلبتنى من اجله.

الموضوع يا ريم هو مقالاتك الاخيره و اثرها و انا خايف عليكى. لولا انى اعرفك جيدا لقلت انك تريد ان تتفاوض معى بشأنها لما لها من علاقه بمستشفى الدكتور امجد. لا الامر اخطر من ذلك بكثير ربما يكون فيه انهاء حياه هل انت مستوعبه اهمية الموضوع. تعلم اننى لا اهتم بتلك الامور فالله خير حافظا و هو ارحم الراحمين دائما ابى يقول تلك الكلمه فى نهاية كل حوارلى معه. لقد اثرت اهتمامى قل ما عندك و لكن قبلا ماذا تريد ان تاكل فانا اتضور جوعا و لا تخشى فانا الذى ساتحمل التكاليف. خرجت ضحكه بدون ان اسيطر عليها و قلت طالما "بلوشى" اود اثنين من الهامبرجر و شرائح بطاطس مع الكاتشب و زجاجة بيبسى. فقالت "كل ده" ليس هناك مانع طالما الموضوع مهم لكن ان رايت الموضوع تافه فلن اتحمل شيئ و ستحاسب انت على الطلبات. ضحكوا سويا و اخذوا يتناولون الطعام مع التحدث عن الذكريات التى مرت بهم و اتفقوا على ان يرسل لها ملف الدكتوره علا للاطلاع عليه اولا قبل القرار ثم نتقابل فى الغد بنفس المكان و الموعد و انصرفا.

و عندما وصلت المنزل و جلست على المكتب الخاص بى و امامى جهاز الكمبيوتر المحمول و فنجان القهوه و قمت بارسال

ملف الفلاشه الى الايميل الخاص بريم. و قمت بتصميم اعلان عن المستشفى و كتابة نبذه عن اهميتها للوطن و اقسامها و ارسلت هذا الملف لسالم بيه لمراجعته و ارساله الى قسم الطباعه للنشره غدا. ثم اخذت اتصفح ملف الصور الخاصى بى و انا اتناول رشفات من فنجان القهوه خاصتى ذلك المشروب السحرى الذى يسبب لى السعاده و يجعلنى اتحكم فى عالمى الافتراضى. فهذه صور لى مع والدى رحمهما الله فى مناسبات اجتماعيه ليست كثيره انما جميله حين تتذكرها و اخرى لى مع جدى فى صحبة الحاج احمد المنفلوطى والد سالم بيه رئيس التحرير و اخرى مع اصدقاء فى لحظات عابره لى ايام الكليه و ها هى ريم الخولى لم تتغير كثيرا عن ايام الجامعه نفس الضحكه و النشاط و التفاؤل و الروح القتاليه. و انتبهت على رنين الهاتف الخاص بى "ياصاحب الهم ان الهم منفرج" و بالنظر الى اسم المتصل فاذا هى ريم الخولى. و بالضغط على زر الرد جاءنى صوتها هذا هو الموضوع الذى ابحث عنه طوال حياتى شكرا لك يا حسام سنتقابل غدا للننظر ما العمل و كيف نتصرف تصبح على خير و اغلقت الهاتف و تركتنى فى عالى الافتراضى الذى اهرب اليه كلمات اردت الخلوه بنفسى.

(8)

فى احدى المكاتب بهذا المكان المكتوب على لافته معلقه بجدرانه من الخارج "ممنوع الاقتراب او التصوير". هذه الجدارن عاليه لا تستطيع ان ترى ما بداخلها و لكنك تترك العنان لخيالك ان تبدع فى تفاصيل القصص التى تدور احداثها بداخله. و كأن العاملين به كائنات اخرى ليست من جنس البشر. لا تستطيع الاقتراب من هذه الجدران لوجود حراسه من العساكر وراء اسلحه مصوبه الى الامام على ابراج عاليه و بمسافات متساويه حولها. يجلس العميد مروان الوكيل على مكتبه يقرا التقرير الذى امامه و هو فى قمة الغضب من السطور التى تشرح اخر تطورات الوضع فى قضية المسماه اعلاميا "حراس العقيده". انتبه على طرقات خفيفه على باب غرفته و سمح للطارق بالدخول الذى قال بصوت يملؤه الهيبه و الاحترام صباح الخير مروان باشا. اشعرته تلك الكلمه بالنشوه فاضطجع على كرسيه الوثير و سحب سيجاره من العلبه الموضوعه على مكتبه و اخذ يشعلها بولاعته الذهبيه و اخذ نفسا عميقا و اخرجه فى الهواء و قال اهلا يا طارق و سمح له

بالجلوس على المقعد الذى امام المكتب الامر الذى استغرق وقتا ليصل اليه حيث كان يفصله عن الكرسى الذى سيجلس عليه سيجاده من النوع الايرانى الفاخر و اخذ يمشى على مهل خيشة الاصطدام بالمنضده الصغيره امام الكرسى نتيجة الاضاءه الخافته فى الحجره و المنبعثه فقط من مصباح الاباجوره على المكتب لتثير فى النفس التوتر و الاضطراب لما تضفيه على وجه مروان باشا من الاشعه القويه لتشعر ان صاحب الوجه ليس بشرى الخلقه. بعد الجلوس قال مروان باشا ايه اخبار عيال المستشفى هل فيه جديد. فكان الرد من النقيب طارق رصدناهم ياباشا و هما مجتمعين عند منزل حسان. فقال مروان باشا و هل عرفت ايه خطتهم فقال النقيب طارق احنا مراقبنهم كويس ياباشا و انا جيت لسيادتك لاقول ان الدكتور امجد طاهر و سالم بيه هيبدأوا حمله مضاده لموضوع تجارة الاعضاء. فقال مروان باشا كويس خلى الناس تركز فى الموضوعات دى و تنسى موضوع اشرف الحديدى لكن لازم يقف عند حد معين و الا تنفلت منا الامور و يصعب السيطره عليها و خصوصا القياده السياسيه متابعه الموضوع ده كويس. و متنساس تبلغ رجلتنا فى القنوات الفضائيه يركزوا على اننا نرصد تحركات المتهمين فى

القضيه و ان اى حد عنده معلومات يبلغنا بيها فورا. و كمان شيوخنا يتكلموا فى الحلال و الحرام فى موضوع تجارة الاعضاء الناس بتصدقهم و تسمع كلامهم. و كمان خبراء فى الامن يتكلموا عن مؤامره تستهدف البلاد و تزعزع استقراره و اعداء خارجيين و لهم عملاء. انا عايز الناس تنسى موضوع الدكتور اشرف الحديدى و تركز فى الموضوعات دى و كمان عايز تقارير كل ساعه عن تحركاته و نشاط الحزب. تمام يا فندم هكذا قال النقيب طارق ثم قال موضوع "حراس العقيده" تعلماتك يا فندم. انا لسه مخلص التقرير عنهم حالا لكن مفيش موضوع حقيقى هو ايه لقتوهم بيحاولوا التسلل عبر الحدود الى ليبيا. هل لقيتوا معاهم اسلحه او منشورات او حتى فلوس اجنبى هل لقيتوا معاهم اجهزة تصنت انا عايز اعرف كل حاجه بالتفصيل و مش عايز الصحافه و الاعلام تاخد خبر الا فى الوقت المناسب.

خرج النقيب طارق من مكتب مروان باشا ثم اخذ الاخير يفكر ماذا تريد يا حسام انت و ريم. انا سأنتظر الى ان اعرف نواياكم و سأجعل ايام حياتكم جحيم و ستندمون على انكم فكرتم فى الوقوف امام مروان باشا و ستتمنون انكم لم تولدوا بعد. رن جرس هاتف الموبايل الخاص به و بالضغط على زر الرد جاءه

صوت الدكتور امجد طاهر يقول صباح الخير مروان باشا المبالغ وصلت حساب سيادتك فى الخارج و كله تمام فرد عليه مروان باشا انا قلت لك اكثر من مره لا تتصل بى على الموبايل و خاصة فى وقت العمل فقال الدكتور امجد اسف ياباشا لكن هناك موضوع هام اريد رايك فيه مطلوب مننا كميه كبيره جدا و على وجه السرعه و السعر مغرى جدا. المطلوب ايه يعنى هكذا رد مروان باشا قال الدكتور امجد طاهر موضوع قيام العصابات بخطف طفله او تثبيت رجل او امراه لن يكون يحقق الغرض و انا خايف اننا نضغط عليهم و يزيدوا من نشاطهم بالتهجم على البيوت فيثير الرأى العام و يفتح ابواب جهنم. سافكر فى الامر و ساتصل بك لكن انت قلت السعر كام قال مروان باشا فكان الرد من الدكتور امجد سته مليون لثلاثه قلب و اربع كليات و سته قرنيات اغلق الان و سارد عليك لاحقا. اخذ مروان باشا يفكر مع نفسه و هو ينفث دخان السيجاره فى الهواء و قال الموضوع كبير هذه المره و تنفيذه بهذا الشكل ربما يفتح ابواب جهنم و لا نستطيع غلقه لكن المبلغ يستاهل و نسبتى الستون بالمائه كالعاده ستكون كبيره هذه المره و ربما تكون العمليه الاخيره و اعتبرها مكافاه نهاية الخدمه اذهب الى

الامارات حيث ارقام حساباتى و ابدا حياتى و حيث ان ادائى فى الفتره الاخيره اصبح لم يرضى رؤسائى بالرغم من انى اتفانى فى تنفيذ المطلوب منى لكن حظى اصبح سيئا و ثغرات فى الاداء جعلت للمواضيع رائحه تجلب القيل و القال و هذا مما لا يعجبهم و بالتالى سأصبح كارت محروق. ما العمل فى تلك الصفقه اكيد اتصلوا برجالتنا على الحدود فى مطروح و سيناء و كان الرد لا يوجد اعداد كافيه للهجره تلك الفتره حيث العيون مستيقظه نتيجة الاحداث الاخيره و كنا نعتمد على احتياجتنا منهم اذا ضغطت الامور. لم يبقى الا العصابات و اكيد لن تكون فى الوجه البحرى لان الحرص اصبح زائد و لم يعد يترك احد اولاده ان تخرج فى اوقات السكون و فضلوا الجلوس فى بيوتهم بعد صلاة المغرب تفاديا للمخاطر. اذا ستكون مكان التنفيذ فى احد قرى الصعيد النائيه التى لا يسمع بها احد لان وصول الصحافه و الاعلام الى تلك الاماكن مرهق و مكلف و لا يعنى الناس. لكن كيف سيكون التنفيذ هل نقوم بالخطف للاعداد المطلوبه ستكون هناك ثغرات بالتاكيد هل نقتح منازل فى وقت واحد ونقوم بتصفيتهم و اخذ المطلوب ربما فكره جيده و سنشيع

حول الحادث ثأر و تصفية حسابات. هذه هى الخطه و ساعمل على توصيلها الى السلامونى مجرم الصعيد ليقوم بالتنفيذ.

بالفعل وصلت الخطه بالمطلوب الى السلامونى الذى اعد كل شيئ الرجاله المطلوبه لهذه العمليه بادواتهم اللازمه و مكان التنفيذ و الزمن المتفق عليه. و استيقظت اهالى القريه المنكوبه على صراخ و عويل احدى السيدات و بسؤالها اشارت الى بيت اختها فعند دخواهم هالهم ما راوه قتل اهالى المنزل بالكامل الاب و الام و الطفال الثلاثه و استغربوا لعدم وجود اعضاء لهم مثل الاعين و وجود فتحات فى الصدر و البطن و اكتشفوا ان هذا المنظر قد تكرر فى البيوت التى قبله و بعده و بنفس الشواهد. فقاموا بابلاغ السلطات للتحقيق و جاءت الصحف و كاميرات القنوات لتظفر بالمشاهد الحصريه و تبدأ فى الثرثره لايام قادمه طوال.

و لما كان موضوع الثأر و تصفية الحسابات غير مقنع للراى العام و بالتالى تم تلفيق التهمه الى احد المختلين عقليا و اعتباره قاتل متسلسل من ذوى الامراض النفسيه و القضيه اصبحت فى المحاكم و لكثرة الاحداث تناساها الناس كما نسوا الاحداث السوداء الاخرى. لكن تلك الحادثه اعادت الزحم و الاهتمام

بمقالات ريم الخولى و اصبحت رمز لهذا الموضوع الخطير و هو تجارة الاعضاء. جاءت الاستفسارات كثيره الى مروان باشا بشأن تصاعد الاحداث فى قضية تجارة الاعضاء و لم يعد يقنع الناس موقف السلطات المتخاذل منها الامر الذى جعله محط اللوم و التهديد بالاستعناء عن خدماته فى الايام القادمه لفقده مهارته فى الاداء. و الراى العام ساخط جدا من كثرة الاحداث فى الفتره الاخيره و ارتفاع اصوات كثيره تتناول موضوع الدكتور اشرف الحديدى و موقفه من شحنة استيراد القمح المسرطن و ايضا موضوع ريم الخولى و تحقيقاتها الصحفيه الجريئه. و هذه الاصوات التى تضامنت مع بعضها البعض لتجعل السلطات هى المسئوله عن كل هذه الاحداث لتخاذلها عن اتخاذ مواقف حاسمه. فهذه الاصوات لمنظمات حقوقيه و جمعيات اهليه و احزاب سياسيه و جمعات دينيه كلها لها اهداف خاصه بها اتفقت على رفع شعار التغيير للنظام. تلك الكلمه التى تزعج السلطات و تجعلها فى حالة استعداد قصوى لجميع اجهزتها و خاصة الامنيه منها. و لهذا فكر مروان باشا بخروج قضية "حراس العقيده" للنورو اطلق رجاله فى الصحافه و

الاعلام لتشيد بمواقف رجال الامن الساهرين على حماية الوطن من اعدائه الداخلين و الخارجين.

و اتصل بالنقيب طارق ايه الاخبار فجاءه الرد ياباشا نحن نعمل اللازم للحصول على اعترافات موثقه منهم فقال له السرعه مطلوبه فى هذا الموضوع فقال له ياباشا انت تعلم سيادتك اننا قبضنا على خمسه اعضاء لهذه الخليه و للاسف لم يتحمل احدهم المعامله الخشنه و مات لاننا لم نكن نعلم انه يعانى من مرض القلب و باقى لنا اربعه و نحن نتعامل معه حسب البرنامج المتفق عليه فى تلك الامور. فقال مروان باشا انا سأتابع التحقيقات بنفسى فاجعلهم جاهزين فى الساعه الثانية عشره مساء اليوم.

****

قال حسان فى نفسه هل تلك القريه مكتوب عليها الحزن الى الابد لا يمر اسبوع الا و تحدث فيه مصيبه بالامس القريب موت الدكتور يحيى ثم دخول والده المستشفى ثم المجزره التى حدثت فى الايام الاخيره و ها هو القبض على المهندس احمد. و فكر بالاتصال بزوجته ليطمئن عليها و يدعوها الى ان تعود للعيش معه مرة اخرى جاءه الرد انها بخير و لا تريد العوده الى هذا المكان الذى يذكرها بفقد ولدها و انها تقضى وقتها مع حياه

لحين عودة والديها من المستشفى و لكنها تبكى ليل نهار على اخوها المهندس احمد. فقال لها ما الذى حدث فقالت بعد ان عقدت حياه قرانها اخبرها المهندس احمد نيته للجميع بانه سوف يسافر الى السعوديه للعمل هناك. و لكن الاحداث مرت سريعا و وجدنا ان الحاج محمد يريد السفر الى القاهره و كانت تلك الكلمة كفيله بان تحرك كل نوازع الندم لديه و استمرت لتقول فؤجئنا بالشرطه تقتحم منزل الحاج محمد و تكسر الباب عنوه و تبعثر محتوياتها يمينا و شمالا و تاخذ كل الاشياء الثمينه و لم تترك الشقه الا رمادا و عند سؤالهم ماذا يجرى فقالوا اين حجرة احمد محمد الرشيدى و عندما ارشدناهم اليها اقتحموها و اخذا جميع كتبه و جهاز الكمبيوتر الخاص به و شنطة اوراقه.

****

فى الساعه الثانيه مساءا حضر مروان بيه لحجرة التحقيقات و استقبله النقيب طارق و قال له للاسف ياباشا مفيش حد راضى يتكلم كل ما نسالهم عن الاسماء الكبيره يقولون نفس الراويه و نتيجة زياده الضغط عليهم لم يبقى الا اثنين احمد و زميله طارق و الاثنين الاخرين فى مستشفى السجن. فقال مروان بيه احضرهم لى واحد بعد الاخر و خلى اثنين من رجالتك قريبين

يمكن احتجالهم. و بالفعل طلب النقيب طارق احضار احمد محمد الرشيدى الى حجرة التحقيق. تلك الحجرة موجوده ضمن مبنى كبير اسفل الارض، هذا المبنى مخصص للتحقيقات و لكنها من نوع خاص تعتمد على الحاق الاذى بالمتهم الى اقصى درجه ليتمنى ان يتخلص منه و لو بفعل اى شيء. و الحاق الاذى له اساليب مبدعه تفوقنا على غيرنا فى هذا المجال و اصبح لنا الرياده لدرجة سلطات اخرى فى دول اجنبيه تطلب التعاون فى هذا المجال لسمعته الشهيره و كفاءته، الامر الذى يجعل مروان باشا يشعر بالفخر عند ذكر هذا الموضوع فى جلسات القياده السياسيه التى تتناوله على سبيل التندر. هذه الاساليب المتنوعه منها الصعق و بدرجات متفاوته من الفولتات حسب ارشادات الطبيب لقوة احتمال كل متهم يحقق معه احيانا يخطئ فى التقدير فتكون النتيجه موت الضحيه الذى يلقى فى حفره قريبه من المبنى و يغطى بالتراب و يعتبر من المفقودين و يشطب اسمه من السجلات و ان كان كتب يثبتوا انه هرب و لا يشعر احد بالاسف تجاهه. هناك اساليب اخرى بدائيه مثل التعليق فى السقف من رجليه او جلده و هو عار تماما او ادخال حيوانات مفترسه سواء بشريه او حيوانيه فكل هذا ممارسه من

قبيل التهيئه و تليين المتهم صعب المراس ليتحدث و يقر بما يريدونه منه. منهج التعامل فى تلك الاماكن يستهدف التاثير بالالم طبعا على الجسد اما عن النفسى فهو ايضا له ابداع فى تحقيقه منها وضع عصابه على عينيه اثناء التحقيق معه او جلوسه على فوهة زجاجه مدببه او جلوسه على عصا بين كرسيين مقيد القدمين و الرجلين او ضربه على قفاه كلما هم بالكلام او اغتصابه هو او احد ذويه امامه او الاستهزاء بالمعتبر و المقدس لديه. فكل هذا من قبيل التهيئه و الوصول به الى تمنى الخلاص لهذا الوضع باى ثمن.

ذهب احد رجال النقيب طارق عبر ممر طويل من الحجرات الصغيره يطلق عليها زنازين على الجانبين لا يتجاوز مساحتها عن المترين فى متر و تستعمل لحجز خمس افراد و لا يوجد لها نوافذ لانها تحت سطح الارض و بها زاويه تستعمل لقضاء الحاجه وبها حنفيه صغيره ليس لها وقت محدد لخروج الماء منها. و ما ان انتهى الممر حتى وصل الى ساحات تهيئة المتهم و هى عباره عن حجرات بها مكبرات للصوت ليسمع صوت التعذيب كل من فى المكان و مجهزه ايضا باحدث ما توصلت اليه البشريه من ادوات احداث الالم سواء النفسى و البدنى. هذه

الادوات تم تطويرها عبر سلسله من الابحاث و التجارب منذ محاكم التفتيش بالاندلس مرورا بمكاتب البوليس السياسى الى معتقلات ابو غريب و جوانتانامو. و عندما تسير فى هذا الممر تسمع مختلف اصوات الاهات كانها سينفونية من الحجيم و تستطسع ان تميز منها ما هو لطفل ام رجل ام امراه ام شيخ فالاصوات حقيقة مختلفه. ربما تشعر بالاسى يسرى فى جسدك لكن مع مرور الايام يحدث لك تبلد حسى بل تستعذب سماع هذه الاصوات و مشاهدة الالم و المتالمين. بعد حوار هامس بين رجل النقيب طارق و المسئول عن احداث الالم فى جسد كل من المهندس احمد و زميله المعلقين من ارجلها بسقف الحجره الذى توقف و هو يلهث و يمسح العرق من جبينه من جراء قيامه بضربهم بالكرباج السودانى الذى بيديه بهذا الاتقان و التفانى فى اداء الواجب المطلوب منه بكل اخلاص و خاصة كلما اقترب منه اى مسؤل اعلى منه فى الرتبه او الدرجه و فى الاستراحه بين كل ضربه و اخرى يقوم مساعد له بوضع اقطاب من الكهرباء احيانا على اعضائهم التناسليه و احيانا اخرى على حلمات صدورهم مع ضحكه بلهاء كلما ينتفض جسد الضحيه. و قال امرا لهذا المساعد جهز الزبون و ذلك معناه ان يقوم بضخ

الماء البارد على جسدهم ليزيل اثار الدماء و قام رجل النقيب طارق بسحبهم و هم فى حاله من الاعياء الشديد لدرجه الزحف وراء الرجل الذى امر بوضع عصابات على اعينهم و توصيلهم الى مكتب التحقيقات. و ما ان وصلوا ظلو على تلك الحاله قرابة الساعه الى سمعوا همهمه تقترب و باب يتم فتحه و يدخل منه اثنان ثم افاقوا على صفعه قويه على قفاهم و صوت يأمرهم بالوقوف على ارجلهم. هنا تكلم مروان باشا بصوت هادئ و قال لا يصح ان تفعلوا بهم هكذا و وجه كلامه الى المهندس احمد اخبارك ايه يا بشمهندس. كنت عايز تسافر و تروح فين و هى السعوديه بقت ناحية ليبيا برضه يا راجل ايه حكايتك. اخبرونى انك كنت عايز تتكلم امام المسئول الكبير انا لما عرفت حضرت على طول ايه عايز تقول ايه. انت زعلان من العصابه اللى على عينك لا يا راجل ليس عند حق الجماعه بس خافين على عيونك من الاضاءه الشديده هنا. و عندما هم احمد ان يتكلم قال له انا لا احب ان اكرر كلامى مرتين انا عايز اسمع الكلام مره واحده انا قدامى اعترافاتك كلها و موقعه و ممكن نهى على كده لكن انا عايز اتاكد علشان انا ببحبش الظلم و لا ايه يبشمهندس طارق. و فجاءه انتبه طارق من جراء صفعه على قفاه جعلته

ينزل على الارض ليلقاها بجبهته كانها حبيبه افتقدها منذ زمن بعيد لان يداه مقيده خلف ظهره فلم يستطيع حمايتها و كل هذا لانه لم يستطيع ان يقاوم النوم الذى لم يقربه منذ اسبوع. فقال طارق على الفور تمام ياباشا انا هاقول كل حاجه. قل مروان باشا جميل ياطارق انا عارف انك متعاون قلى انت كنت رايح ليبيا ليه انت و اصحابك. يا باشا الموضوع اننا نريد ان نساعد اخوانا فى سوريا كل ما الواحد يشوف القصف للبيوت و هدمها على اهلها الامنين يصيبه الحزن و الضيق و يتمنى يعمل اى حاجه لنصرتهم. اه جميل و بعيدين يعنى انت من جيش النصره لا ياباشا احنا فكرنا انا و زمايلى اننا نعمل مجموعه تحاول تساعدهم باى طريق، هدف المجموعه تجميع مال لمساعدة اللاجئين فى الطعام او الماوى او ارسال لهم اى امدادات طبيه فلم يعد الدعاء يكفى. و لما استنفذنا كل المحاولات لتوصيل المعونات التى جمعاناها سواء العينيه او الماديه لم يبقى لنا الا مساعدتهم بالنفس. مره الفلوس تتسرق و مره الادويه و الطعام يفسد فى فترة اخذ التصاريح و مره يتم طردنا و بعثرة الاشياء على الارض. فلم يكن لدينا طريق الى مساعدتهم فى محاربة الروس الظلمه بانفسنا فكررنا اننا نروح ليبيا و من ليبيا على

تركيا و منها ندخل الحدود. جميل ياطارق قولى بقى انت تبع داعش و لا القاعده هكذا قال مروان باشا فكان رد طارق ياباشا احنا لا تبع داعش او غيره احنا اتعلمنا من ديننا ان المسلمون اخوه و وجب على كل مسلم القتال اذا دخل العدو ارض المسلمين. و قال مروان باشا اتعلمت الكلام ده فين قال طارق احنا يا باشا كلنا من قرى الصعيد و يقوم اهالينا فى الصغر بتعليمنا القران و يعتبر كمرحلة رياض الاطفال فى وجه بحرى. و القران يعلمنا ان الدين الاسلامى ليس عباده فقط و انما تطبيق ليكون و واقع على الارض. العباده شعائر تؤدى للخالق سبحانه و تعالى كنوع من الامتثال لامره اما الواقع فهو تطبيقه فى كل شئون الحياه و النموذج الامثل لهذا التطبيق هو ما فى سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و اصحابه و اتباعه. و الجهاد هو السبيل الوحيد للتطبيق فى ارض الواقع سواء جهاد النفس او جهاد من اعتدى علينا. طيب يا طارق مين اللى انتم كنت رايحين ليه قال مروان باشا و هو برضه اللى هيصرف على الموضوع ده مش كده و لا فيه كلام تانى. هنا بدأ احمد يتكلم و يقول يا باشا احنا مختلفين مع فكر داعش و لينا تحفظات على كل الجماعات الدينيه الموجوده الان على الساحه. صحيح لا

ننكر اجتهادهم فى محاولة تطبيق الدين كنموذج جماعى لكن هناك اخطاء و مصالح دنيويه فى منهجهم للتطبيق تجعلنا لا نريد الانضمام اليهم . ايوه كده يا احمد انا عايز اسمع كلامك انت متوصى عليك و علشان كده انا جيت ليك هنا مخصوص قولى انا مش فاهم حاجه من اللى قلته. قال احمد يا باشا الدين ليس فقط عبادات و ان كانت كل الكتب الدينيه القديمه تناولت هذا الامر تحقيقا و الوصول به الى اقصى درجات الصواب بمعنى البعد به عن الزيف و الاباطيل و هذا بفضل حفظ القران و الاجتهاد فى تجميع الاحاديث الصحيحه. اما التطبيق كان يتطلب كتب عن السيره و خاصة التاريخ الاسلامى بها درجة الصواب العالى الذى تحقق لكتب العبادات و للاسف هذا لم يتحقق لان التاريخ كان يكتب بوجهات نظر و خاصة اتباع المنتصر و بالتالى داخلة الكثير من الزيف و الاباطيل او المبالغات البعيده عن الواقع. كنا نحاول نحن فى جماعة "حراس العقيده" ان نهتم بهذا الامر و من بين انشطتنا مساعدة اخواننا المسلمين المضطهدين فى اماكن كثيره منها فلسطين و سوريا و العراق و ليبيا و بورما و كشمير و الصومال و السودان و نيجيريا فالقائمه طويله. بدأنا تلك المجموعه بتمويل ذاتى و من

المقتنعين بالفكره، و لكن احداث سوريا كانت بالنسبة لنا نقطه فاصله لاثبات جديتنا لانفسنا باننا حقا نريد تطبيق الدين كنموذج اجتماعى جماعى ام لا و لهذا فكرنا فى هذا المسار، و لسيادتك التحرى عن كل ما قلناه. طبعا يا بشمهندس احمد هنعمل زى ما انت قلت لكن قلى اولا الجهاد بتاعك هيكون بايه بالسلاح طبعا هتجيبه منين. قال طارق سلاح ايه يا باشا احنا لم نفكر فى هذا الموضوع، كل اللى فكرنا فيه اننا نروح تركيا و منها نهرب على الحدود و نلتحق بفرق المقاومه هناك. اللى هما مين يا طارق مع الجيش الحر و لا جيش النصره و لا احرار الشام و لا جيش بشار و لا حزب الله و لا تركيا و لا روسيا. هنا ساد الصمت المكان و امر مروان باشا ان ياخذوهم الى الحجز و ابلغ النقيب طارق كفايه على العيال دى الفتره اللى فاتت و انتظر منى التعليمات.

(9)

فى نفس المكان بالكافتيريا اسفل مبنى جريدة "الوطن اليوم" جلس حسام فى مكانه السابق يرشف فنجان القهوه و ينتظر ريم التى ستتناول الغذاء فى فترة راحتها كما تم الاتفاق بينهم ليتناقشوا حول خطة المواجهه. و اثناء جلوسه اخذ يتطلع الى الكشوف التى اعطاها اياه حسان، و ادهشه كمية الاسماء و البيانات عن شخصيات معروفه و يشار لها بالبنان فى مجالات متعدده سياسيه و اقتصاديه و امنيه و حتى رجال دين و اعلام. ارقام الحسابات لاسماء معينه دون غيرها يشير الى اهمية وضع اصحابها و يؤكد ذلك قيمة المبالغ المرتفعه الموضوعه بجانبها مقارنة بباقى الاسماء. الغريب فى الامر ان هذه الحسابات كلها فى بنك واحد يشاع عنه انه غير مراقب من البنك المركزى و وظيفته تحويل الاموال الى الخارج بغير حساب. و باقى الاسماء يوجد فيها اسماء معروفه ايضا لخطرين و مخالفين للقانون بارتكابهم جرائم ليست هينه فى اماكن متفرقه بطول البلاد و عرضها. اخذ يتحاور مع نفسه كيف سيواجه كل هذا الشر، اكيد ان المواجهه لن تكون سهله. و جاءت ريم كعادتها متألقه يسبقها

حماسها و بوجه باسم ألقت التحيه على حسام الذى اخذ وقتا ليرد عليها يستغله فى اعادة التوازن الى نفسه من جراء الهاله التى تضفيها شخصيتها عليه. اخبارك ايه، هل فيه جديد، اتغديت و لا لسه، جرسون الطلب المعتاد. ابتسم حسام و قال لها انا احضرت الكشوف و ارقام حسابات التى اعطاها لى حسان، لكن الامر ليس بالهين، يوجد اسماء نافذين فى السلطات و اللعب مع هؤلاء يحتاج الحذر الشديد لان الغلطه فيها موت. قالت له سيبها لله و هو المستعان، ايه اكبر الاسماء، قال واحد موجود فى الكشف باسم كودى الاخ الكبير اعتقد انه الرأس المدبر لان باقى الاسماء لمسئولين كبار فى الوزارات المختلفه و اعلاميين فى الصحف و التليفزيون و موظفين كبار فى الجمارك وسكرتير محافظه و مدير امن و اسماء اخرى لمجرمين بالاضافه الى الاسماء التى تعرفينها من تحقيقاتك عن موضوع تجارة الاعضاء. فقالت اى مواجهه مباشره بدون معرفة الاخ الكبير محكوم عليها بالفشل و هذه نقطه هامه يجب اخذها فى الاعتبار هكذا قالت ريم. فكان الرد من حسام اوافقك تماما لكن خطتى هى على مراحل الاولى تجميع المعلومات و خاصة المركزه على موضوع واحد و هو تجارة الاعضاء حيث واضح ان هناك

مواضيع اخرى متشابكه فى تلك القضيه و السير وراء كل خيط فيها سيشتت تركيزنا و يعرضنا للهلاك نتيجه لتواجود ثغرات. فالامر حسب هذه الاسماء متعلق بمواضيع اخرى تهريب و احتكار سلع و تضليل راى عام و غسيل اموال و صفقات كثيره مشبوهه. فالتركيز على موضوع واحد يجعل الضربه موجعه وفى مقتل عند المواجهه المباشره و يربك حسابات الفاسدين يجعلهم يوقفون نشاطهم الاخر فتره من الوقت لاعادة حساباتهم، و لكن مع توالى الضربات تضعف شوكتهم و يسهل القضاء عليهم او حتى تقليل خطرهم. تجميع المعلومات عن طريق اعداد ملف كامل عن الاسماء التى لها علاقه مباشره بموضوع تجارة الاعضاء و اماكن تواجدهم و ارقام حساباتهم و طرق التواصل بينهم هى اولى الخطوات فى الخطه. و اقترح ايضا وجود شخصيه وطنيه و شريفه لها نفوذ سواء شعبى او حكومى لاستشارتها و اعطائها المعلومات فى بداية المواجهه المباشره خوفا على ضياعها باى وسائل حقيره من الطرف الاخر. و انت تستمرين فى مقالاتك عن هذا الموضوع بما لديك من معلومات و لكن ليس دفعه واحده حتى لا تثيرين حفيظة الطرف الاخر و يعتقد ان هذا هو اقصى ما لديك و عن نفسى ساستمر فى نشر

الاعلانات و النبذه التعريفيه لمستشفى الدكتور امجد طاهر لجذب اهتمام الناس و عدم تشتيتهم فى موضوعات و حوارات مصطنعه. هذا تمام ذلك ما اجابت به ريم و اضافت و عن الشخصيه النافذه انا اقترح الدكتور اشرف الحديدى فهو رجل وطنى و محبوب و يعرف الكثير من الشخصيات النافذه فى القرار السياسى و اعتقد انه لا يمانع عندما نعرض عليه هذا الموضوع. فقال حسام دعينا نؤجل تلك الخطوه لحين اكتمال ملف المعلومات و حينها نعطيه السلاح الرادع الذى ينسف كتلة الشر هذه. و موضوع اخر ستكون هذه اخر زياره نتقابل فيها حفاظا على السلامه لانى اعتقد بان الطرف الاخر بدأ يأخذ حذره و اكيد نحن مراقبين، و حسان قال لى انه نجا بأعجوبه من حادث اصطدام سياره به بعد ان غادرنا منزله انا و الدكتوره علا كما حكيت لك.

****

فى حديقة مستشفى الدكتور امجد طاهر تقابلت الدكتوره علا و حسان و قالت له هل اخطائنا باعطائنا هذه المعلومات لحسام فقال لها و لماذا تعتقدين ذلك، فقالت لم نرى صدى مدوى و كنت اعتقد ان الانفجار سيعقب لقائنا هذا. فقال لها لا تقلقى

فالمواجهه بدأت باسرع مما كنا نعتقد، فقالت و كيف، فقال هذا الصباح سحب منى الدكتور امجد جميع الملفات السريه و قال لى الامر فى الايام القادمه سيكون على نشاط المستشفى العادى، و ايضا بعد مغادرتك انت و حسام منزلى كانت هناك سياره ترصدنا و اعتقد ان جلستنا هذه مراقبه ايضا. فارتجف جسد الدكتوره علا برعشه خفيفه و لكن انتهى مفعولها سريعا لما لها من خبره جيده فى التعامل مع المواقف الصعبه و قالت و ما العمل الان. فقال لها الانتظار فانا فى شوق جارف لليوم الذى ارى فيه هؤلاء الاشرار معلقين على حبال المشنقه. و استمر فى الحديث و المراره تغلف كلماته التى تخرج كأن شرر يصاحبها، و قال فى الامس كنت مع زوجتى ازورها و عندما سألت على حياه ابنة الحاج محمد الرشيدى الرجل الذى اعتبره كوالدى و له افضال على خلق كثير و انا منهم، فقالت هى فى المستشفى فانزعجت و قلت لها ماذا حدث و لماذا لم تخبرينى. فقالت هل تعلم الحادثه التى مرت فى قريتنا بالامس القريب عندما استيقظنا و وجدنا قتل اصحاب البيوت الثلاثه و اخذ اعضائهم فقلت لها نعم، فقالت كانت حياه ذاهبه الى المدينه و معها نقود سحبتها من البريد صباح اليوم لدفع ثمن جهازها. اثارت موضوع

الفلوس دوامة الحسره و الندم لعلمة بقصة تلك النقود التى هى ثمن بيع الحاج محمد لكليته و انه هو السبب الذى ارشد الرجل لهذا الطريق. و استمرت زوجته فى الحديث وقالت حسب ما روت حياه القصه ان صاحب المحل سيتواجد بعد صلاة المغرب هذا ما تفقت عليه معه باتصالها به و عند ذهابها فوجئت و هى على الطريق الحالك الظلام على غير العاده بمجموعه من الخطرين المعروف شخصيات بعضهم باعمالهم الاجراميه فى القريه و المناطق المجاوره و عندما راؤوها تسير بمفردها تحرشوا بها و عندما حاولت الفرار منهم و رفع صوتها بالاستغاثهقاموا بكتم انفاسها و اقتادوها لمكان نائى بالقريه و تناوبوا عليها اغتصابا حتى غابت عن وعيها و اتضح ان هؤلاء المجرمين كانوا تحت تاثير المخدرات و استقيظت و هى فى حالة اعياء شديد بعد ان حركتها ايدى احدى الماره الذين تعرفوا عليها و هى ملقاه فى الطريق و اوصلوها للمستشفى و لم اعلم الا الان عندما اتصل بى احد العاملين بالمستشفى يقول قريبه لكم محجوزه لدينا و توريد رؤيتك. هالنى ما سمعت و شعرت بانى السبب فى كل هذا و لم تتوقف زوجتى عند هذا الحد من المصائب بل زادت و كانها لم تعرف الفرح ابدا وقالت المهندس

احمد بعد ان قال انه سوف يسافر الى العمل فى السعوديه و اخذ شنطة سفره فؤجئنا بعد يومين حضور قوة من الشرطه تقتحم منزل الحاج محمد و دمرته على اخره و اخذوا كل حاجات المهندس احمد من الكمبيوتر و الشنطه و الاوراق والكتب. فخرجت من عندها و انا لا ادرى هل انهت كلامها ام ان هناك مصائب اخرى و انا هائم على وجهى فى الطرقات بقريتى التى اشعر فيها بغربه شديده لما اراه من الحزن و الضيق الذى يملأ الوجوه، و لا ادرى هل الذين يرفعون ايديهم الى اعلى يريدون القاء السلام على ام انها حركه لا اراديه لابعاد الذباب عن الوجوه نتيجه اكوام القمامه الملقاه فى كل مكان مما يزيد الاحساس بالضجر و الملل فى وجود اشعة الشمس الحارقه السخيه ايضا فى تلك البقعه من البلاد التى تم نفينا اليها. و انا فى حوارى مع نفسى اصطدمت بشخص سلم على بوجه مقتضب و قال السلام عليك يا عم حسان فردتت بالعاده و عليكم السلام و عند التحقق من شكله علمت انه عبد الرحمن المحامى زميل الدكتور يحيى. فلقت له كيف حالك، فقال الحمد لله، لقد كنت اريد ان اتصل بك قريبا فى امر هام، فقلت خير ما هو ، فقال موضوع المهندس احمد اخو يحيى، فقلت له ما تخطط له فقال

بعد ان جلسوا على اقرب مقهى قابلهم و طلبوا من النادل كوبين من الشاى الثقيل سكر زياده اننى اعمل فى احد المكاتب القانونيه الكبيره التابعه لوالد زوجتى فى القاهره. و علمت من الصحف اسم المهندس احمد و اتهامه فى قضية ارهاب مسماه اعلاميا "حراس العقيده". فنزلت على الفور الى القريه لاسال الحاج محمد عن اصل هذا الموضوع و لكنى فوجئت بالاحداث الاليمه التى مر بها من والدى و اصدقائى و كنت عائدا لاتصل بك ربما تستطيع المساعده فى هذا الامر من خلال معرفتك لاشخاص نافذين فى القاهره نتيجة وجودك فيها لفتره طويله. لقد علمت عن طريق مصادرى انه محجوز فى احد مبانى الامن الوطنى و احاول الاطلاع على محضر النيابه لتقرير ما العمل. فقلت له دعنى اتحدث مع الدكتور امجد طاهر بشأن هذا الموضوع و اخبرك بالنتيجه ان شاء الله و لكن خبرنى ما قصتك بعد نجاتك من موضوع الهجره الى بلاد اوربا. نظر طارق الى السماء و هو بعود برأسه الى الخلف كأنه يستعد بجسده لحمل هذا الجبل الثقيل من الهم الذى عمل على تكسيره طوال هذه المده التى حمد الله على عدم اطالتها و قال بعد نجاتى و عودتى الى القريه جلست وحيدا و انا متذكر كل ثانيه و نحن نصارع الموت انا و

يحيى و لكن لبنيته الضعيفه جعلته لا يستطيع المقاومه و انتصر عليه الموت، لكنى و ربما لبنيتى القويه نتيجه ممارسة الرياضه قاومت الى اقصى درجه و ما زادنى اصرارا هو رغبتى فى ان احمل جسد يحيى ليدفن فى القريه و عدم تركه طعاما للسمك و الطيور الجارحه و كان هذا سببا فجر بداخلى طاقات لم اكن اعلم وجوده بداخلى و لكن للاسف لم استطع الصمود و فقدت الوعى و لم افيق الا نتيجة ضرباب على وجهى و افقت لاجد نفسى على احد مراكب الصيد التى اوصلتنى الى الشاطئ و تطوع احد الشرفاء فى هذا الوطن بتوصيلى الى منزلى . و جلست وحيدا فى بيت والدى افكر هل استسلم الى الاكتئاب الذى لازمنى فتره ليست بالقصيره ام اقاوم و قررت المقاومه و ما اثبتته الايام قوة نفسى التى اخذت على عاتقها محاربة الظروف القاسيه التى امر بها و اقاومها فهى لن تكون باكبر من مصارعة الموت و الفرار من انيابه و خصوصا و انا ارى انيابه تقترب من احبائى فى الدنيا والدتى و اخوتى و اصدقائى الذين سقطوا فى براثن الهم نتيجه رؤيتى بهذا الشكل الضعيف. و فى يوم من الايام تلقيت اتصالا من زوجتى الحاليه و التى كانت فى الماضى حبيبة لى تخبرنى باحتياج والدها لمحامين جدد و حددت مقابله

لى معه و بالفعل قابلته و عملت معه باخلاص شديد كأنى اعمق جذورى فى الحياه و فى تلك الايام تم التقارب الشديد مع ابنته و انتهى بالزواج. قال حسان الحمد لله على ما تأتى به المقادير و تعاهدا على اللقاء قريبا و ذهب كل واحد الى حال سبيله بعد تبادل ارقام الهواتف.

****

طرق حسام باب حجرة رئيس التحرير و انتظر ليرد بالموافقه على الدخول و بعد ان طال الوقت فتح الباب ليجد سالم بيه على سجادة الصلاه و عندما انتهى منها بالتسليم اعطاه اعلان المستشفى و النبذه عنها كما هو المتفق و قال فى نفسه غريب امر هذا الرجل. لكنه فؤجئ بسالم بيه يطلب منه صرف النظر عن هذا الموضوع و لم يعطه الاسباب و قال له اهتم بموضوع "حراس العقيده". و لما وجدته مشغولا لم يناقشه فى اى امر و خرجت من مكتبه وانا افكر فى شخصيته التى حيرتتنى كثيرا. انا اعلم ان هذا الرجل على المستوى المهنى جيد و له صولات و جولات فى السابق كما انه من اسره ميسوره الحال جعلته لا يقع تحت ضغط العوز و الحاجه و رباه ابواه على الفضيله و المبادىء. و سأل نفسه ما الذى يجعل مثل تلك الحاله ان تنحرف

عن جادة الصواب و هى حسب الظاهر من الامور بداياتها مبشره بنهايات جيده. و ظهر له فى ذاكرته صوره "الاخ الكبير" التى رسمها من خلال معرفته بالاحداث السابقه حيث هو العنصر الخفى و المحرك لكل هذه الاحداث. صوره رجل غامض طويل البنيه يرتدى بالطو طويل على بذله انيقه و نظاره تخفى عيونه امعانا فى الغموض الذى يضفيه البالطو على شخصيته التى لا يجب ان يحدد معالمها الناس لتبقى اسطوره تنسج حولها الاشاعات و القصص المثيره. و من خلال مطالعته للكثير من الكتب و هواياته فى قراءه افكار الناس توصل الى ان اسلوب هذا الرجل الغامض لا يبتعد عن طريقين الاول الترغيب بالمنح و العطايا او الترهيب بالضغط و الابتزاز. و بما ان سالم بيه له تاريخ فى بداياته مشرف و احواله العامه تجعله لا يرضى التخلى عن مبادئه بسهوله اذا فليس له الا الطريق الثانى. و اساليب الطريق الثانى كثيره حيث ان الترهيب بالضغط ايضا ليس له مكانه كبيره عند من يعملون فى الصحافه فهى مهنة البحث عن المتاعب. اذا هو عرضة للابتزاز و القصه المقنعه لسالم بيه هو تصويره فى وضع يخجل ان يطلع عليه الناس و حقيقة صدق من قال " رب شهوة ساعه تورث ذلا الى قيام

الساعه". اكيد سالم بيه واقع تحت تهديد هذا النوع كلما اراد ان يفر من الابتزاز الواقع عليه يتم التلويح بنشر تلك السقطه التى لا شك اثارها ستكون كارثيه عليه و على اولاده و احفاده. اما من يرفض احد هذين الطريقين فلا يبقى له الا التصفيه و انهاء وجوده من الحياه و اخراجه من اللعبة كلها. عند وصوله الى تلك النقطه شعر بالخوف فهو اصبح طرفا فى اللعبه و اكيد انه سيمر بهذا الاختبار الصعب و المسأله مجرد وقت.

****

فى حجرته العميقه فى الطول و خلف مكتبه الذى امامه السجاده الايرانى و الاباجوره الوحيده المضيئه فى الحجره اعاد مروان باشا الكرسى الدوار الى الوضع الطبيعى بعد ان انزل قدميه من على النافذه الخلفيه لمكتبه و وضع رماد السيجار فى المطفأه ثم قال للنقيب طارق الواقف عند اطراف السجاده اتفضل و اشار له بالجلوس على الكرسى الموجود امام المكتب. هنا اخرج النقيب طارق التقارير و اصبح يقول المختصر فيها ليقرأ مروان باشا التفاصيل بعد ذلك. و لكنه قال له اخبار الواد حسام و البت ريم ايه فكان الرد من النقيب طارق لم يتقابلوا الى مرتين فقط و لا يوجد اتصالات بينهم ياباشا. كويس كده يبقى كانوا عاوزين

يعملوا سبق صحفى و خلصت الحكايه لما ظهرت الحكايه الجديده "حراس العقيده". قولى اخبار احمد الرشيدى و صاحبه طارق و بقية زمايله هكذا قال مرون باشا فرد على الفور النقيب طارق الحقيقه يا باشا العيال دى عبيطه "احمد و طارق" و لا يوجد عليهم اى دليل. فى الجامعه ناس فى حالها و ليس لها اى نشاط الا انهم فعلا ناس طيبه و على نياتها عملوا المجموعه دى فى البدايه على موضوع التبرعات و تصحيح التاريخ و الكلام اللى هما بيقولوه لكن العيال التانيه لقينا ليهم ملفات و مرصدين من زمان و هما تبع جماعات محظور من السلطات و "احمد و طارق" اتخدوا فى الرجلين. طيب كويس خلى بالك منهم اصل الدكتورامجد كلمنى على احمد انه يعرفه و يعرف ابوه انت عارف هما صعايده علشان كده بقولك اتصرف و ارميهم فى اى حته و بتكتبشى اسماميهم و تابع حكاية العيال التانيه و ادينى تقرير عنهم لكل جديد اصل الموضوع ده مسمع لاعلى قياده فى السلطات. و هنا رن جرس التليفون الذى انتفض على اثره مروان باشا من كرسه الوثير و عظم فى الهواء و قال نورت يا معالى الباشا و اشار للنقيب طارق بالانصراف. و بعد ان وضع السماعه شعر بسعاده غامره لثناء المتصل به عن نشاطه الفتره

الاخيره و دوره فى الهاء الناس عن القرارات الحكوميه التى تزيد الحياه صعوبه على المواطنين و خصوصا ترسيخ فكرة ان البلاد مستهدفه، لكنه بخبرته الطويله فى العمل مع هؤلاء القاده ادرك ان الاتصال وراءه غايه اخرى و ما هى الا تمهيد لجراحه عاجله حتى و لم يكن الجسد فى احتياج اليها فى الوقت الحالى لكنها مطلوبه و حتما سيتم اجرائها.

(10)

تناولت ريم الخولى الغداء كعادتها فى الكافتيريا و لكن بمفردها و هى منهمكه فى الملف الذى اعطاه لها حسام المرشدى و هى تستحسن عمله المتقن و خطواته المدروسه تقول فى نفسها نظرتى فيك لم تتغير ابدا. و رات جميع عناويين اطراف قضية تجارة الاعضاء و اسماء الشركاء و ارقام حساباتهم و اسماء السماسره و العصابات و اماكن تمركزهم و لم يبقى الا استدعائهم و التحقيق معهم و هذا سيكون فى خطوة المواجهه المباشره التى اتفقوا عليها و التى سيقوم بها رجل لا يستهان به و يستطيع مواجهة المخاطر التى حتما ستكون شديده قد تصل الى التصفيه و الاغتيالات. و سرحت فى خيالها و الاوقات التى جمعتها بحسام المرشدى و كيف انه يظهر فى حياتها و يترتب على هذا تغييرات جذريه فى حياتها ثم يختفى. فكرت فى المشاعر التى تجمع بينهما فوجدت انها اعلى من مشاعر ارتباط لشخصين يمكن وصفها بانه توافق روحى و ان كلاهما توأم لكن فى الارواح. انهت غذائها و عند جلوسها على مكتبها جاءها اتصال من مكتب رئيس مجلس الاداره يطلبها للمقابله. و

توجهت على الفور و لم تتوقع ان تسير الاحداث بتلك السرعه فهى الاخرى كانت تبحث عن سبب لمقابلته.

اشرف الحديدى رئيس مجلس ادارة جريده "الوطن اليوم" التى تعمل فيها ريم الخولى و هو ايضا رئيس حزب" طريق الثوره" و الجريده ناطقة باسم الحزب. هو استاذ دكتور فى المحاصيل بكلية الزراعه جامعة عين شمس له العديد من البحوث و المؤلفات العلميه القيمه التى على اثرها اخذ العديد من الجوائز و الهدايا و الاوسمه و اصبحت له سمعه طيبه فى تخصصه على مستوى العالم كما ان له العديد من المشاريع و البرامج البحثيه فى المحاصيل الاستراتيجيه و خاصة القمح. له نشاط سياسى بارز لازمه منذ ان كان طالبا فى المدارس و الجامعه و له مواقف ثابته و مشهوده كلها تتناول الجانب الاصلاحى للمجتمع. و انتهى المقام به الى ان اصبح رئيس حزب الثوره الذى له قبول شعبى و يحظى بعدد لا بأس به من مقاعد البرلمان تجعلها تشكل كتله سياسيه تضمن قوه تصويتيه داخل المجلس و مؤثره خاصة فى القاضايا التى تهم المواطن. اختير لتولى مسئولية وزارعة الزراعه و لكن نتيجه اصطدام القرارات الفنيه بالسياسيه التى يكون فيها دائما الغلبه للقرارت الساسيه الامر

الذى ادى الى اقالته لانه ليس من النوع الذى يفر من الميدان و المعركه لم تنتهى. ثارت العديد من القوى تناهض هذه القرارات و ساندتها العديد من المظاهرات التى تطالب بعوده الرجل الى منصبه لكن قبضة الامن القويه و اعتقال العناصر الفاعله فى كل هذه التحركات ادت الى وأد جذوة قوى الرفض و خفت الصوت فى النهايه. لكن الدكتور اشرف مستمر فى عطائه عن طريق كتاباته الصحفيه و استكمال مسيرته العلميه بالجامعه و القاء الخطب فى الندوات و المؤتمرات التى يدعى اليه.

عندما وصلت الى مكتب الدكتور اشرف الحديدى و اخبرت مدير مكتبه بان لها موعد معه، اخبرها بان الدكتور فى انتظارها. و عندما دخلت استقبلها الدكتور بوجه باش و هنأها على سلسلة تحقيقاتها الاخيره عن موضوع تجارة الاعضاء الامر الذى ادى الى زياده مبيعات الجريده و هذا دليل على اننا فى الطريق الصحيح حيث هدفنا المواطن و كل ما هو صالح له و استهداف قراء جدد فهذا انجاز تستحقين عليه المكافاءه. شكرته على هذا الثناء الذى لم تكن تتوقعه من شخصيه تقدرها مثل الدكتور اشرف، و قالت انا تلميذه لك تعلمنا منك استاذنا الفاضل معنى الوطنيه و الانتماء. لكن فى الحقيقه استاذه ريم

هناك موضوع اود ان احدثك فيه لأعلم وجهة نظرك فيه لأتاكد اننا نسيرفى الاتجاه الصحيح كما قلت لك. انزعت من تكرار الجمله الاخير و قالت خير يا دكتور، فقال لها خير يا استاذه ريم الامر الهام هو انه جاءنى اتصال من شخص يدعى العميد مروان من الامن الوطنى هكذا عرفنى بنفسه و قال ما معناه فى حديثه انه يطلب منى بصوره اقرب للتهديد بان تتوقفى عن كتابة هذه المقالات و الا العواقب ستكون وخيمه. قبل ما تتكلمى ياريم يا بنتى احب ان تعرفى وجه نظرى فى البدايه انا لى مواقف كثيره نتيجه تشبثى بما اراه الصواب و الحق تجعلنى احارب بكل ما استطيع بطرق كثيره لكن ليس منها العنف لتحقيق هذا الصواب كاملا او اكبر نسبه منه و فى سبيل ذلك اتحمل كافة النتائج و لا احب الاملاءات خاصة التى تناقض مبادئى ربما اقبل النصيحه و الحوار و اعترف بخطئى اذا ظهر ان الصواب فى مكان اخر فأقر به و انحاز للصواب. لذلك ياريم انا اريد منك معرفة الموضوع بالضبط و وجهة نظرك و ثقى تماما انى سأحارب معك اذا كنت على الصواب.

الحقيقه يا د كتور طوال ليل امس و انا افكر كيف كيف اعرض عليك هذا الموضوع الذى بدأ باتصال شخص لى عقب نشر

موضوع تجارة الاعضاء و اللغط الذى ثار حوله من بعض الضحايا الذين تم النصب عليهم بعدم الحصول على المبالغ المتفق عليها من الوسطاء او السماسره و احيانا سرقه اجزاء اخرى من اجسادهم زياده عن المتفق عليها و لاستشعارى باهمية هذا الموضوع تتبعت تفاصيله الى ان علمت بتورط اسماء لاطباء كبار و لهم مستشفيات مشهوره و ذائعة الصوت مثل مستشفى الدكتور امجد طاهر. هذا الشخص الذى قدم لى تفاصيل عن هذا الموضوع اعتمدت على روايته بعد التاكيد من تفاصيلها بالحديث مع احد الضحايا الذى حدثت مضاعفات خطيره له بعد انتزاع كليته نتيجة ان الكليه الاخرى اتضح انها تالفه و على وشك التوقف و يدعى الحاج محمد الرشيدى، و قابلته فى احد المستشفيات الحكوميه بعد طرده من مستشفى الدكتور امجد طاهر لاخلاء مسؤلياتها فى حالة حدوث وفاه التى هى متوقعه فى اى لحظه، و ربما هناك علاقه قرابه بين الشخص المتصل بى و المريض الحاج محمد الرشيدى لتاثره الشديد اثناء الحديث عنه. و كنت اريد ان اتوقف عند هذا الحد لشعورى بانى اديت واجبى المهنى تجاه هذا الامر الخطير و تركه للجهات المعنيه للبحث و التحرى. الا اننى فؤجئت باتصال

من زميل لى ايام الجامعه و صفحى فى جريدة "الحدث" اسمه حسام المرشدى و قام باعطائى ملف به تفاصيل غاية فى الخطوره عن هذه العصابه وان كان المسمى السليم لها مافيا لتورط شخصيات نافذه فى القرار السياسى و على مستوى الاقتصاد و الحكومى ايضا و مرفق بهذا الملف ايضا ارقام حسابات على بنك "الاتحاد العربى" الذى يقوم بتحويلها الى الخارج و يحتوى كذلك على اسماء السماسره الوسطاء و العصابات المجرمه التى تقوم بخطف الضحايا و الاستيلاء على اعضائهم. كذلك تم تحديد بنوك التخزين و منافذ خروج هذه الاعضاء. و الموضوع لم يتوقف عند هذا الحد و انما لضعف الامكانيات الفرديه لتجميع هذه المعلومات تم الحصول على هذه الكميه ولكن فى حالة تسلمه جهات رسميه تعمل بنظام المؤسسه حتما ستحصل على تفاصيل اكثر التى اتوقع وجود عملاء و خونه على اتصال بشكل او باخر بدول لها اهداف فى تخريب البلاد مما يشكل تهديد الامن القومى و لهذا يجب اتخاذ اجراء. و لحجم الموضوع توقفت المجموعه التى اخذت على عاتقها اعداد هذا الملف لعدم قدرتها على تحمل تبعيات المواجهه المباشره و

فضلوا البعد عن الصوره و تكليفى بأستكمال المواجهه لعلاقتى السابقه بنشره الى الراى العام.

تغير وجه الدكتور اشرف لسماعه لهذه القضيه و اخذ الملف من ريم و بدأ فى تصفح اوراقه و قال لها و ما هى خطوتك التاليه. فقالت لم استطيع تحديدها بالضبط لانى لن استطيع المواجهه بمفردى و هذا ما كنت افكر فى ان استعين بك لتوصيل الموضوع الى جهات رسميه و اسناده للشرفاء فيها. فكان رد الدكتور اشرف اتركى لى هذا الملف الخطير و لكن هل لديك نسخه اخرى فكان ردها نعم منه ثلاث نسخ واحد مع حسام المرشدى و واحده معى و الاخيره امام سيادتك. فقال لها ساجعل هذا الموضوع هدف شخصى لى و سابلغك بخطتى ان شاء الله قبل انتهاء هذا اليوم لعلمى بان السرعه مطلوبه و لكن عليك الحذر الشديد الايام القادمه. فاتصالهم بى لجعلى اضغط عليك للتتوقفى عن النشر فى هذه القضيه يعنى انك مراقبه و الله معك.

و بعد ان خرجت من مكتبه و عليها بعض اعراض التوتر و القلق من احساسها بانها مراقبه و لكنها قاومت هذا الاحساس و قالت ان الله معنا و لكل اجل كتاب. اخذ يفكر الدكتور اشرف فيما قالته ريم فهو بلا شك موضوع خطير و الدخول فى هذا

الموضوع بدون الاستعداد له سيكون عواقبه وخيمه و لا داعى للاندفاع هذا ما قاله لنفسه. و استطرد وقال احيانا اللعب بمبادئ الشرف مع اناس لا يقيمون لها وزنا بل يعتبرونها ضعف يكون نتيجتها محسومه تجاه الخساره، لكن هذا لا يكون مبرر فى الانجراف للتعامل بنفس مبدأ الخصم الغير شريف تحت مسمى الغايه تبرر الوسيله لانه خطأ حتى و ان كانت النتيجه الفوز. فالشرف و المبادئ و القيم لابد من وجودها فى السلم و الحرب فى الضيق و اليسر و لكى لا يكون هذه الكلمات شعار يجب الاستعداد جيدا لالقاء الرهبه و الرعب فى قلب الخصم قبل الضرب المباشر لانها تحدث تشويش فى قلبه و تجعله لا يحسن اتخاذ القرار السليم و هذا ما نستفيد منه، و اعتقد ان معلومات هذا الملف به نسبه كبيره فى النجاح لهذا الشق الاول فى المواجهه و هو الاستعداد اما الشق الاخر و هو الرهبه و القاء الرعب فى قلب الخصم و هذا ما سافكر فيه للمواجهه المباشره. و سأتعلم من تجربتى الاخيره التى لم يكتب لها النجاح الكامل عندما كنت وزير الزراعه. و عند علمى بموضوع العزم من قبل الحكومه على استيراد كميه ضخمه من القمح بالامر المباشر لاحدى الشركات الخاصه و هذا اثار الشك و الريبه فى قلبى

لاعتباره مخالف للوائح و القوانين و اثار تساؤلات لماذا لا تعدل القوانين او يتم اسناد امر الاستيراد لاحدى شركات قطاع الاعمال. و لما كان هذا الموضوع جاء من الجهه الاعلى المطلوب منها رفضه من الاساس و لكن سيره بهذا الشكل ادى تقاعس رجال الاداره لدى وزارعة الزراعه عن التصعيد كأنه اجراء طبيعى و يحدث كثيرا. و كونى حديث عهد بالوزاره و لم اطلع على جميع الملفات و ملابساتها لصغر الفتره التى كلفت فيها بتحمل المسؤليه التزمت الصمت لعلى اعلم حقيقة الاشياء بعد ذلك. و بتوالى الايام فؤجئت ان الدوله التى نستورد منها لنا معها معاهدات اقتصاديه مبنيه على استقبالها لمنتجات وطنيه فى سبيل اخذ شحنة القمح و فى حالة رفض الشحنه لاى سبب يكون النتيجه رفض منتجاتنا الوطنيه ايضا الامر الذى له تاثير كبير على حجم النقد الاجنبى فى البلاد. لكن ليس طبيعى هذا الامر ايضا بالرغم من وجود دول اخرى على اتم استعداد لتصدير اجود انواع القمح و ذلك تخصصى و تستورد ايضا منتجاتنا الزراعيه الوطنيه بشروط لها الحق فيها مثل تقليل المبيدات المستخدمه فى الزراعه و نوعيه جيده من التقاوى و التخزين الجيد هذا بالاضافه الى منتجات صناعيه بمواصفات جوده

تطبقها جميع دول العالم لكن ربما هناك اسباب خفيه، سيتم التعرف عليها مع الوقت هذا ما قاله فى حواره مع نفسه. و ما يثير الدهشه و العجب الشركه التى تنفذ عملية الاستيراد بالامر المباشر هى المسؤله عن هذا الامر لسنوات طويله و بالتحرى عن اصحابها الظاهرين وجد انها مملوكه لرجل اعمال تربطه علاقه نسب مع اكبر رأس فى السلطات. كل هذا كانت معلومات كانت تتكشف امامى عن هذا الموضوع بمرور الايام بما يزيد من الضغط على باحساسى فى المشاركه نتيجة الصمت و انا فى موقع المسؤل الذى تكون هذه الامور من اختصاصاته. و هل ثمن الصمت مغرى مثل الاستمرار فى هذه الوظيفه او تحقيق مكاسب ماليه سيكون من جرائها التعاسه فى الدنيا و الجحيم فى الاخره يكفى عذاب ضميرى الذى يلازمنى ليل نهار و كان القرار الاندفاع و المواجهه المباشره. خاصة بعد ان جاءت تقارير معامل التحليل لعينات القمح التى تشير الى زيادة نسبة الارجوت فيها عن المسموح بها صحيا الامر الذى سيؤدى الى تفاقم مرض السرطان بشكل كبير بين المواطنين. الاحساس بانك تقف فى صف هؤلاء القتله الذين لا يرعون فى الله لومة لائم و لا يهمهم الا زيادة ارصدة حساباتهم فى البنوك و لهم مبرراتهم

الخاصه شيئ لم تتحمله نفسى و قدمت بلاغ الى النائب العام، و انهالت على جسدى السهام المسمومه من كل اتجاه و للحقيقه لم اكن اعلم ان كل هؤلاء سيزعجهم امر رفضى المشاركه فى هذا الموضوع و بالتالى كان القرار ابعادى و غلق الموضوع.

سأستفيد من هذه التجربه ربما الاستعداد لم يكن كاف و بالتالى اثر بالسلب على نسبة النجاح فى موضوع القمح المسرطن، لكن هذا الموضوع "تجارة الاعضاء" الاستعداد جيد و بنسبه كبيره يحتاج فقط الى تحويله الى مؤسسى يعتمد على القانون ليس على الاهواء الشخصيه و المشاعر الداخليه. الان هو فى حاله شعبيه و ذلك مطلوب ايضا حيث الراى العام له قوة ضغط فى صياغة القرار لكن لا يستمر لها النجاح الا اذا انتقلت الى نظام المؤسسه لان الراى العام يبنى على المشاعر و هى سريعا ما تتغير لاعتمادها على امور كثيره مغلفه على المبالغه لاحداث الاثاره لجذب الاهتمام و اقل نسبه فيها هى الحقيقه. و لهذا خداع الراى العام و تضليله عن طريق وسائل الاعلام يكون سهل اما القانون فيعتمد على الحقائق و الدلائل و الاثباتات. فالتفكير بنقل موضوع تجارة الاعضاء الى المؤسسيه هو اول طريق المواجهه المباشره التى ادعو الله ان تكون صحيحه. و خطوات

ذلك اولا بتقديم بلاغات الى النائب العام بكل الادله و المستندات ثم تقديم استجوابات للوزارات المعنيه بهذا الامر فى مجلس النواب، المضى ايضا بالتوازى فى اعلان نشر هذه الادله فى كل وسائل الاعلان المتاحه مرئيه و مسموعه و مقروءه، و اعداد قائمه من الخبراء الوطنيين فى جميع المجالات التى لها علاقه بهذا الموضوع و اعطائهم نسخ من هذا الملف. و بهذا سيكون محاولة قمع الاصوات صعبه جدا لكثرة الاطراف المتداخله بالاضافه الى وجود الراى العام للمواطنين صاحب الحق الاصيل فى الوطن. و بالفعل اتصل بريم الخولى و طلب منها ان تأتى على الفور الى مكتبه و هى بدورها لم تتأخر عن الذهاب فهى كانت فى حالة تشتت ذهنى من بعد انتهاء مقابلتها الاولى معه و تفكر فى ما الذى سيكون عليه قراره. و بالدخول الي مكتبه اشار الها بالجلوس و اخبرها بتفاصيل الخطه التى سيقوم بتنفيذها و التى هى استمرارها فى النشر و بدون اى سقف من الحريه و مساعدة اى جهة نشر اخرى حتى و لو وسائل اليكترونيه تريد التفاصيل فالموضوع ليس سبق صحفى و انما هو قضيه وطنيه ضد الفساد ربما يرعوى الاخرون من جراء قذف هذه الفنبله فى وجوههم. و انا سوف اتقدم ببلاغ الى

النائب العام و ارسل له هذا الملف مع ارساله ايضا الى قائمه من الشرفاء الوطنيين فى الحكومه و غيرها للوقوف على هذا الامر و انتظار ما سيكون قرارهم تجاه الوطن و اعتقد انه سيكون ايجابى ان شاء الله، كما سارسل الى الكتله البرلمانيه لحزبنا فى مجلس الشعب للتعامل مع هذا الموضوع لعمل اللازم من الاستجوابات و حتى طرح سحب الثقه من الحكومه باكملها للتصويت لتخاذلها فى هذا الموضوع. و انا سوف اتناول هذا الموضوع بالشرح و التحليل و فضح كل الاطراف به فى البرنامج الحوارى بالتليفزيون ليلا ان شاء الله. و كما قلت لك عليك الحذر لكنى اعتقد بان الضربه ستكون قاصمه و سيحتاجون الى الوقت للافاقه و التفكير فى كيفية اذاء خصومهم و الله الموفق و المستعان. ذهلت ريم من كلام الدكتور اشرف الحديدى و خرجت من عنده و هى تقول فى نفسها اكثر الله من امثالك يا دكتور اشرف و فعلا لا تموت هذه البلد تحت ايادى الفسده و المفسدين بفضل وجود امثالك، و قامت بالاتصال بحسام المرشدى و ابلغته انها تريد رؤيته فى الكافتيريا هذا اليوم فقال لها و بصوت حزين شعرت به على غير عادتها من

استقبال صوتها ان شاء الله سأكون فى الموعد فقالت له ما الامر فقال لها عندما اقابلك ساخبرك.

(11)

دخل سالم بيه المنفلوطى مكتبه بموقع جريدة الحدث على غير عادته من الصخب و القاء الكثير من الاوامر لكل من يراه و يطلب من لم يراه بمكتبه ليكلفه بمهام ايضا. هذا ما شعر به العاملين فى الجريده و اندهشوا من دخوله الصامت و القاء السلام عليهم و يبدو على وجهه الشحوب ربما نتيجة الارق و قلة النوم. و ما ان دخل مكتبه اخذ يراجع شريط حياته و ما وصل اليه كانه يعيد تفاصيل ما ناقشه بينه و بين نفسه فى ليل امس و اتخاذه لقرار بعد ان انتصر على نفسه التى عارضته كثيرا. و ها هو اليوم يراجع القرار ليرى ابعاده و ليثبت ان نفسه خاطئه عندما ظلت طوال الليل تقول له و المكاسب التى حققتها و الشهره و العلاقات و لكنى كنت ارد عليها بانى لم اكن سعيد و ان هذا ما لم اكن احلم به، و هى تقول و ما الذى كنت تريد ان تحققه اكثر مما وصلت اليه فانت رئيس تحرير جريده لها قراء و لك مؤلفات يشتريها الناس و لك رصيد قد تجاوز اصفاره السبعه ارقام فى مختلف البنوك، و كان رده لكنى لم اشعر براحة البال فانى لم احقق ما اريد من المال الحلال فكل ما

كسبته من دماء الناس، و الشهره التى اريدها تكون مبنيه على الحقيقه و ليس على الخداع و التضليل، و ارتقائى الوظيفى يكون بمجهودى و ليس لاكون العوبه فى يد من يريد ان يستخدمنى، فكان ردها لا تنسى الشريط و مروان باشا. هذا ما قصمنى فعلا و جعلنى اتجرع الذل سنوات طوال لكن الى متى. ما حدث كان نزوه و لحظة ضعف احتجت الى ان اتحرر من القيود التى يفرضها على الواقع و التقاليد و انساق الى شهواتى ظننا من انها باب للسعاده، و لكنى افقت بعد دخولى منه ان ظاهره الرحمه و باطنه العذاب. لقد خدعت من كلامها المعسول الذى لم اسمع مثله مطلقا فى حياتى التى قضيت ايامها فى العمل و تحقيق الذات كان لها تاثير طاغى على نفسى عندما تقترب منى و اشم رائحة عطرها الذى ينقلنى الى علم اخر من الاحلام لا يضمنى الا انا و هى، و ما ان تتلامس ايدينا الا و افقد السيطره تماما على جسدى. فهى كانت ممشوقة القوام كغصن البان و مسترسلة الشعر كالليل البهيم، و ناصعة البياض كالشمس فى رائعة النهار، لها ابتسامه ساحره تشعرك بان كل من حولها يبتسم، و عندما تتحدث كانك تسمع اروع سيمفونيه موسيقيه، يستحيل ان ترنو بعينيك يمينا و شمالا الا بعد ان

تختفى من امامها. و هذا ما قد كان عندما فؤجت بانها اعدت سهرة عمل لنتناقش فى التحقيق الصحفى الذى نعمل به سويا فهى عرفتنى بنفسها انها صحفيه مبتدئه و تريد الاستفاده من خبراتى. و حضرت الى المكان المحدد فى احدى الفنادق الشهيره وبنداء النادل، احضر العشاء الفاخر و لم امانع ان اشاركها تناول الكحوليات التى لم اكن اتذوقها من قبل لكنه الفضول و لم اتذوقها بعد تلك الحادثه لما تجعلنى افقد السيطره تماما على عقلى و سريعا. سحبتنى ورائها الى احدى الغرف و عندما افقت صباح اليوم التالى و جدت نفسى متجردا من الملابس على سرير بمفردى، و تم بعد ذلك فتح الباب و فؤجئت باحد الرجال الذين يلبسون المعاطف الطويله و النظاره السوداء و ورائه اثنين اخرين يلبسون البدل الكامله و فى جنوبهم مسداسات كالحارسين له. جلس على الكرسى الذى بجوار السرير و بيده اسطوانه كمبيوتر يلوح بها فى الهواء و هو يقول لقد تم تصوير كل شيئ يا سالم بيه. ايه رايك نبعت الاسطوانه دى لام الاولا تقولنا رايها فيها و لا ايه. ثم قال بعدما لم يسمع منى اى تعليق الا الصمت المغلف بالخزى و العار، سيبك من موضوع القمح المسرطن ده و ليك عندنا مفاجأه كبيره و هى

انك هتبقى رئيس تحرير جريده "الحدث" فوافقتن و منذ هذه النقطه و انا غير راضى عن نفسى. لقد كنت مجتهد فى عملى لدرجة وثوق الدكتور اشرف الحديدى بى لاقوم بحمله صحفيه لموضوع القمح. فانا قبل رئاستى لجريده "الحدث" كنت اعمل صحفى فى جريده "المواطن اليوم"، و لكنى خذلتك يا دكتور اشرف و كان نفسى ان اخبره بالسبب و لم استطيع مواجهته و اختفيت عنه تماما و ربما هو فطن لامر تهديد لى لانه لم يسأل عنى بعد ذلك.

انا قررت الاستقاله و البعد تماما عن الصحافه و الاكتفاء بكتابة المؤلفات الادبيه، و اود ان اعترف لحسام بانه صحفى ممتاز يفكرنى بشبابى و انه يسامحنى لانى كنت بانقله من مكان لمكان فى الجريده ليس لقلة كفاءه و انما خوفا عليه. لهذا هو اصلح واحد يدير الجريده دى بعدى و اريد ان اتصل به لابلغه بانى بالفعل كلمت رئيس مجلس الاداره بترشيحه خلفا لى الذى فؤجى بتصرفى و لكنى ابلغته بانى اريد الراحه حيث صحتى لم تعد تتحمل ضغوط الصحافه. لكن لا يدرى لماذا يخفت نور الحجره هكذا و ماذا يحدث فى صدرى الماذا ادلكه بهذه الصوره لماذا اصبح الظلام ياتى و يذهب ما هذا الذى يجعلنى اتنفس بهذه

السرعه لماذا اشعر بجفاف حلقى لماذا تتوقف عضلة القلب عن ادائها لوظيفتها و تعود لماذا لم يعد النور و لماذا اصبح الظلام هو السائد و لماذا توقف القلب عن استمرار النبض هذا لانه ببساطه مات، و انحنى راسه الى الامام ليستقر على سطح الكتب لكنه يلاقى زر اتصاله بسكرتيره الذى دخل الى المكتب على الفور لعدم توقف الرنين، و فى تلك اللحظه كان دخول حسام ليسلمه تحقيق عن " حراس العقيده" و لكنه فوجئ بالمنظر و انتحى جانبا يبكى. يستعيد ذكرياته معه، انه يعتبره استاذه الحقيقى فى مهنة الصحافه و كثيرا ما اسدى اليه النصائح التى غيرت الكثير من نظرته للامور و كيفية تعامله معها. خرج من مكتبه بعد ان اتصل بزوجته و اولاده الذين حضروا على الفور لاتخاذ اجراءا مواراة الجثمان فى الثرى. حقيقة كان يعترض على اسلوبه و خاصة فى الفتره الاخيره من حياته لكنه كان يلتمس له العذر باتخاذه هذا الاسلوب ربما سيتخذ نفس موقفه لو تعرض لتهديدات صعبه، فالقرار الذى يتخذه المحاربين للمواجهه المباشره ليس صفه متوفره للجميع.

خرج من باب مبنى الجريده الرئيسى الى الكافتيريا ليقابل ريم و هو فى حالة اسى و حزن شديد و لكن ليعرف تفاصيل خطة

المواجهه التى سينفذها الدكتور اشرف لان الوقت ضاغط ثم يذهب فى المساء ليقدم واجب العزاء لاسرة سالم بيه. و جلس فى المكان المعتاد و وجد ريم فى انتظاره تتناول الغذاء و سألته عن سبب حزنه الشديد الواضح على وجهه. فاخبرها ان سالم بيه مات اليوم و اظن السبب سكته قلبيه و هبوط حاد فى الدوره الدمويه و ذلك لكثرة الضغوط التى يعانيها فى الفتره الاخيره. هل تعرفى يا ريم انى كنت ساقترح عليك الاعتماد على سالم بيه ليقوم بالمواجهه فى حين لم نصل لاتفاق مع الدكتور اشرف. فقالت له رحمه الله و غفر له لكن كيف كنت ستعتمد عليه و هو احد المشاركين فى موضوع تجارة الاعضاء. فقال لها حسام هل تعلمى و انا ابحث عن معلومات لافراد هذا الموضوع علمت ان سالم بيه كان صحفى فى جريدة "الوطن اليوم" الذى تعملين فيه الان و كان ايضا من المقربين للدكتور اشرف ربما لا تعرفينه لانه كان يكتب اسم مستعار فى نهاية تحقيقاته. و لكن فجأه ترك الجريده و اصبح رئيس تحرير جريدة "الحدث" و هذا ما لم اعرف سببه الى تلك اللحظه. اخبرينى ما الذى توصلتى اليه مع الدكتور اشرف، فقالت لقد رحب جدا و اعتقد انه قدم بلاغ الى النائب العام الان و سوف يعلن الموضوع بنفسه فى البرنامج

الحوارى الليلى على شاشة التليفزيون و اخبرنى بان انشر كل التفاصيل فى تحقيقاتى و انه سيتم تقديم استجوابات للاجهزه المعنيه فى مجلس الشعب و ربما تقديم طلب لسحب الثقه من الحكومه. فقال لها جيد هذه الخطه وادعو الله ان لا يتم وأدها كما فى القضايا المشابه، لكنى و للحقيقه متفائل حيث الجبهه التى ستقاتل كبيره و متفرقه و لن يستطيع احدا عرقلتها ان شاء الله. و عندما هم حسام بالانصراف و مغادرة المكان قالت له و هناك خبر اخر اود ان اطلعك عليه متعلق بالموضوع، ربما كتب الله عز وجل النهايه لهؤلاء الاشرار. فها هو احد اعوانهم المجرمين الكبار فى الصعيد الذى يدعى السلامونى تم القبض عليه و السبب قضية حياة الرشيدى المدرسه التى اغتصبوها فى جنح الظلام و التى بالفعل تعرفت عليه و ارشد على كل افراد عصابته. و باستمرار التحقيق معه اقر انهم كانوا عائدين بعد تنفيذ المجزره التى راح ضحيتها افراد البيوت الثلاثه المتجاوره و انتزاع اعضائهم، و انهم فى نشوة تحقيقهم المطلوب تناول بعض افراد العصابه المخدرات و فقدوا السيطره على عقولهم خصوصا عندما رأو تلك الفتاه تسير بمفردها فى هذا الطريق الغير امن لبعده عن القريه و الذى يوصل الى المدينه، و

اقتادوها فى الزراعات و تناوبوا عليها اغتصابا و سرقة الاموال التى معها و رفض السلامونى ان يقتلوها. و تشابكت التحقيقات و اتجهت ايضا الى موضوع الاعضاء التى انتزعوها و من الذى حرضهم لفعل ذلك، و التى انتهت باتهام صريح للدكتور امجد طاهر الذى اعتقد انه محجوز الان فى النيابه للتحقيق فيما ورد بشانه فى هذه القضيه. قال حسام الامور تجرى باسرع مما لم نتوقعه، و تركها ليذهب الى منزل سالم بيه بعد ان تمنى لها السلامه. تابعته ريم حتى اختفى عن نظرها و ذهب خيالها الى مشهد يجمعها هى حسام و الناس يهنأونهما على الارتباط لكنها سرعان ما افاقت من غفلتها و اندهشت من فعلها هذا بالرغم من ان حسام هو الشخص الوحيد من نوع الرجال الذى ترتاح اثناء الجلوس و التحدث معه. لكن عقلها ارشدها الى انها تحمل جميع انواع المشاعر النبيله التى تكون بين اثنين و لكن ليس منهما ارتباط الزواج.

****

داخل مديرية امن القاهرة يجلس الدكتور امجد طاهر و هو فى حالة من القلق و التوتر الشديد و هو امام وكيل النيابه الذى اخذ يوجه له دفعه من الاسئله كانها الرصاص يخترق صدره بلا

رحمه. و هو ينظر الى الارض و يقول انا لا اعلم شيئا و لن اتكلم الا بعد الجلوس مع المحامى الخاص به. فقال له وكيل النيابه لا تقلق سيكون هناك الوقت الكثير للتحدث معه. و فى نفس الوقت يجلس مروان باشا خلف مكتبه و هو فى حاله عصبيه شديده جدا و يجمع كل ما يستطيع ان يحمله من اوارق و يحرق الاخر و يتلفها، و خاصة بعد ان جاءه تليفون يخبره ان يغادر البلاد فورا. و بالفعل شوهد اخر مره فى البلاد و هو فى مطار القاهره يتجه الى طيران الخليج ليستقل الطائره المتجه الى مطار دبى الدولى. و بالضغط على الدكتور امجد طاهر و محاصرته بمعلومات الملفات التى صعق من وصولها الى يد وكيل النيابه فارتبك اكثر و قد كان يظن ان الامر اتهامه فى مجزرة البيوت الثلاثه نتيجة وشايه من السلامونى. لكن ما ان علم بان مثل هذه المعلومات وصلت للنيابه انهارت قواه و لم يقول الا جمله واحده هل ممكن ان اتصل بالتليفون فسمح له وكيل النيابه و قال اتفضل و لكن جاء الرد الالى على اتصاله "هذا التليفون الذى تحاول الاتصال به ربما مغلق او خارج نطاق الخدمه، حاول الاتصال به فى وقت لاحق" و استقر فكره بانه لن يكون الضحيه الوحيده ثم استطرد وقال ساقول كل شيئ.

فاخبره وكيل النيابه هذا جيد لكن هناك معلومه ربما لم تكون وصلت اليك و هى وفاة سالم المنفلوطى رئيس تحرير جريدة "الحدث "، فسمعها و كانها بمثابة الضربه القاضيه لجهاز المقاومه تماما. فقال الدكتور امجد سابدأ من حكاية الاخ الكبير، فقال له وكيل النيابه و نحن فى انتظار حكايتك. فقال و هو يسترجع ذكرياته الاولى عندما كان طالب فى كلية الطب باسيوط، كانت لى احلام عريضه فى التعيين كمعيد و التدرج فى هذا المسار الى ان اصل الى رتبة استاذ دكتور و اعامل مثلهم بكل التقدير و الاحترام و الخوف. دائما كنت اريد ان يفخر بى والدى و اثبت له اننى استحق احترامه و تقديره مثل شقيقتى الكبرى التى دائما ما يفضلها على بالمنح و العطايا على كل انجاز تقوم به، و فى المقابل يحقر من شأنى و يوبخنى كثيرا ليس بيننا فقط و انما امام الناس ايضا. اخذت عهدا على نفسى بان اكون شيئا فى هذه الحياه تجعل الناس يشاورون على. كنت اكره اختى و لكنها على العكس تحبنى جدا و لم تمنعنى من حقوقى حتى بعد ان وكلها ابى بشأنى و هذا ما زاد كرهى لها لتسرب احساس الى بانى والدى محق. كرهت البلد التى تعيش فيها اختى و والدى و ما ان لاحت فرصه الابتعاد عنها غادرتها

غير مأسوف عليها بعد انهيت تعليمى فى كلية طب اسيوط و استلمت تكليفى فى احد المستشفيات بالسويس. و انا فى فترة الكليه كانت لى مناقشات حاده مع طلبة التيار الدينى الذين كلما راونى نصحونى بالتوجه الى المسجد لاقامة الصلاه خاصة و انا الوحيد فى الدفعه الذى لم اكن اصلى. و هذا زاد كرهى لهم لتسرب احساس داخلى بانهم محقين و هذا الاحساس يزيد من احتقارى لنفسى و كرهها ايضا و عاندتهم و لم ادخل المساجد طوال فترة الدراسه ظنا منى اننى على حق و لا يحق لاحد ان ينتقدنى او يوجه الى النصيحه فانا لست محتاج لذلك. و فؤجئت باحد طلاب الدفعه يقول لى انه يريد ان يتحدث الى فى امر هام فقلت له ما هو فقال مدير امن الكليه يريد ان يجلس معك. فذهبت بدافع الفضول و لكنى علمت انه يريد منى ان اكون جاسوس هكذا ببساطه على زملائى و خاصة من ينتمون الى التيار الدينى و المقابل فى سبيل ذلك كثير منها نجاحى كل عام حتى و لو لم اكتب شيئا فى ورقة الاجابه فقلت لهم طمعا اريد ان اكون معيد فى الكليه فقال مدير الامن لا مانع، و بالفعل بدأت فى كتابة التقارير التى على اساسها كان يتم اعتقال زملاء لى و يحرمون من دخول الامتحانات و يرسبون ايضا بالاضافه الى تعرضهم

للتعذيب البشع. لا ادرى كلما رايت اثار التعذيب على وجوههم و اجسادهم اشعر بالنشوه و كان احساسى يقول اننى افضل منهم لكن سرعان ما يحتفى هذا الاحساس و افيق على الحقيقه التى هى اننى حقير. و نفذ مدير الامن الجزء المتفق عليه بيننا و هو اننى تخرجت من كلية الطب جامعة القاهره بتقدير عالى يؤهلنى ان اتعين معيد بالكليه. لكن احلامى تغيرت مع مرور الايام و ادركت ان الاحترام الحقيقى للبشر هو لصالح من يمتلك منهم الكثير للمال و اصبح هدفى هو تحقيق اكبر رقم من المال ليودع فى حسابى، و لكى اعود الى والدى و اختى و اقول لهم املك اضعاف ما تملكون و يتسرب الى احساس بالنشوه و السعاده و لكنى افيق على صوابهم فى ان المال الحرام لعنه تذل صاحبها، بالرغم من اعتقادى ان الناس لا يسالون عن مصدر المال و انما يهتمون فقط فى اين يصرف لكن الصواب السؤال عن مصدر المال. و تحدثت الى مدير الامن للكليه برغبتى تلك التى تعجب من رفضى لأكون معيد بالكليه و لكنه قال لى نظير جهودك و اخلاصك و امتلاكك لصفات احب التعامل معها فانا لدىى مشروع و هو انشاء مستسفى استثمارى كبير يعالج فيه الصفوه و كبار القوم فوافقت على الفور لجعلى ستار لنشاطه الاقتصادى

بعد الانتهاء من سنة الامتياز بالسويس، الامر الذى تطور و ادى الى زيادة الجشع هو البدء بتجارة الاعضاء، و زادت رغبتى فى الحصول على النفوذ ايضا فاخبرت مدير امن الكليه الذى ترك وظيفته و انتقل الى الامن الوطنى و كان هذا الامر هو ما شجعنى لاطلب منه رغبتى فى الترشيح لمجلس النواب فوافق و اشار على بتبنى مشروع مصر خاليه من فيروس الكبد الوبائى الذى اقترحته احدى الطبيبات بالمستشفى، و لم يتوقف الامر عند هذا الحد بل طلب منى تمويل جريده "الحدث" الناطقه باسم الحكومه لتساعدنا فى تشكيل الراى العام و اسناد ريأستها الى سالم المنفلوطى الذى كان يعمل فى جريدة تسمى "الوطن اليوم" الناطقه باسم حزب "طريق الثوره". كنت اضع المبالغ المطلوبه منى فى ارقام حسابات هو اخبرنى بها نظير اعمالنا الظاهر منها و الخفى فى المستشفى. هذا الشخص كنت اتعامل معه باسم كودى يسمى "الاخ الكبير" و لكن اسمه الحقيقى هو "مروان الوكيل".

(12)

فى البرنامج الحوارى الليلى الذى اعلن عنه طوال اليوم لاستقبال الدكتور اشرف الحديدى وزير الزراعه السابق ليتحدث عن اخطر القضايا التى يتعرض لها الوطن هذه الايام و هو تجارة الاعضاء. و فى الوقت المحدد اعلن الدكتور اشرف الحديدى كافة التفاصيل و قام بالقاء الكره فى ملعب الشرفاء فى هذا الوطن مع سؤال هل ستكون اجابته الصمت ام الاكتفاء بالشجب و الادانه ام التحرك الفعال لوقف تلك المهزله التى تهوى بالبلاد الى الحضيض. و بالفعل اتصل به العديد من رجال الوطن الشرفاء فى مجلس الشعب على الهواء و كذلك نقابة الاطباء و نقابة المحامين و العديد من الجمعيات الاهليه ذات الصله و اعلنوا جميعهم تضامنهم و انذروا ان لم تتحرك الجهات المسئوله باتخاذ اللازم سيكون هناك اجراء حاسم. و لاهمية الحدث اتحدث اكثر من شارة بث لقنوات تليفزيونيه مختلفه لنقله نتيجة الزخم الغير عادى و الذى استقبله الناس فى كل مكان باهتمام شديد و ترقب لما ستسفر عنه الايام القادمه. و هذا الزخم ازداد ايضا نتيجة نشاط ريم الخولى التى لم تتوانى عن نشر كل

التفاصيل سواء بالجريده التى تعمل بها "الوطن اليوم" و متابعة الجرائد الاخرى و كذلك المواقع الاليكترونيه التى كانت اسرع فى الانتشار خاصة فى اوساط الشباب. و الامر ايضا الذى ادى ارتفاع درجة الاهتمام عند الناس هو الخطوات المؤسسيه ايضا التى تلت مرحلة الاعلان و النشر و هى خطوات لم تكن تتخذ اثناء القضايا الاخرى المشابهه. فلقد قدم اكثر من خمسون عضوا بطلبات احاطه و استجوابات لكلا من رئيس الوزراء و وزير الصحه و الماليه و الداخليه، الامر الذى ان لم يكن هناك ردود مقنعه سيكون الخطوه التاليه هى تقديم طلب بسحب الثقه من الحكومه و المطالبه بتقديم استقالتها. كما ان الامر المؤسسى الثانى الهام فى الموضوع هو اصدار النائب العام بيانا بالتحفظ على كل ممتلكات الدكتور امجد طاهر و عائلته و عدم التصرف فيها و منعهم من السفر خارج البلاد و كذلك كل من ورد اسمه فى الملف الذى ارسله الدكتور اشرف الحديدى ببلاغ رسمى هو وعائلته لحين الانتهاء من التحقيقات، كما انه يمنع النشر و عدم الادلاء باى تصريحات صحفيه تخص هذا الموضوع لحين الانتهاء من الفضل القضائى فيها.

****

تقابل حسان الوتيدى موظف حسابات المستشفى و الدكتوره علا فى احد الكفاتريات العامه ليتحدثوا فى مجريات الامور بسعاده و شكر كلا منهم الاخر على مساعدته لتحقيق امنيته فى القضاء على هذا الوحش المسمى الدكتور امجد طاهر. و قالت الدكتوره علا و ماذا ستعمل فى الايام القادمه فكان رد حسان انه سوف يقوم بالبحث عن وظيفه فى احدى الشركات فابلغته لا داعى فانا اطلب منك ان تعمل فى شركتى الخاصه. فسألها مندهشا شركتك فقالت نعم لقد اخبرنى احد المحامين الذين كانوا يعملون مع رجل الاعمال الذى كانت والدتى تعمل عنده بانه خصنى بجزء من ثروته فى حالة وفاته، و ربما هذا الفعل هو الذى يؤكد شكوك ابى فى وجود علاقه بين امى و مخدومها مما جعله يهجر امى و فضل الهروب عن التعايش فى جحيم الشك القاتل الذى يلازمه ليل نهار كلما راها، و اعتقدت هى تفهمت ذلك لانها لم تذكره بسوء امامى طوال حياتى معها. و اتفقت مع المحامى ان يحتفظ بالشركه لاعمل بها خاصة بعد قرار النقابه بفصلى منها انا و كل الاطباء الوارده اسمائهم فى اتهامات النيابه بموضوع تجارة الاعضاء، و انت افضل من اثق به فوجد نفسه يقول لها و بدون مقدمات تتزوجينى يا دكتوره علا فقالت

لو سمعت هذا الكلام من غيرك لشككت فى ان له غرض لكنى اعلم عنك كل شيئ و عدم طمعك فى المال فلو كان غرضك المال لفضلت البقاء فى المستشفى و حافظت عليها، لكن ما موقف زوجتك فقال لها اننا شبه منفصلين منذ موت ابننا و هى لا تريد العوده الى القاهره و فضلت ان تعيش بقية عمرها مع ابنة اختها حباه التى مازالت تعانى من اثر الحادثه البشعه التى تعرضت لها مؤخرا و لا تريد الرجوع الى القاهره، فوافقت الدكتوره علا على طلب حسان و طلبت زيارة الحاج محمد الرشيدى. و هما فى طريقهما جاءه اتصال على موبايله و عند الضغط على زر الرد سمع من قال له السلام عليكم استاذ حسان انا عبد الرحمن، فقال حسان له خير ا فقال عبد الرحمن لقد وصل المهندس احمد الى بيته فجر اليوم، جاءه به سائق تاكسى الى المنزل حيث يقول انه راى عربة شرطه تقذف به فى الخارج باحد الشوارع الجانبيه المتصله بميدان التحرير و تركته مسرعا فاشفق عليه و ادخله السياره و عند سؤاله ابلغه بالعنوان فاحضره و انصرف و لكنه فى حاله يرثى لها و انا معه الان. الحمد لله و انا ذاهب صباحا الى والده لزيارته و ارى الحاجه فاطمه و استطلع الامر و ساخبرك ان شاء الله بعد الانتهاء.

انتهمت مراسم العزاء و اتجه حسان المرشدى الى الشارع سيرا يفكر فى حياته و لكنه لاحظ حركه غير عاديه فيه و حوارات اصواتها عاليه لمجموعات مختلفه منتشره فى اماكن متفرقه احداها تذكر ريم الخولى و تحقيقاتها الصحفيه و اخرى تثنى على الدكتور اشرف الحديدى و كيف ان البلد ما زال فيها من الشرفاء و اخرى عن الدكتور امجد طاهر و مستشفاه و اخرين يقرأون فى الجرائد. كما انه لاحظ هاشتاجات كثيره على مواقع الاتصال الاجتماعى عندما تصفح حساباته عليه و شعر بسعاده غامره لبيان النائب العام و التحركات الايجابيه لاعضاء و طنيين فى مجلس النواب. و اخذ يفكر فى انه لابد و ان يزور الحاج محمد و يبلغه بان الله اخذ حقه و حقوق كل الضحايا حتى و لو اضطروا لبيع اعضائهم برضاهم فهم لم يوافقوا الا تحت ضغط العوز و الحاجه و حيث ان القلم مرفوع عند الاستكراه فهذا من قبل حكم الله على عباده و تشريعه لهم الذى يجعل استثناء للمضطر و المكره و ذوى الحاجه فماذا عنا نحن بنى البشر متى نتوقف عن اذاقة البأس لبعضنا البعض وذلك لمن يدينون الضحيه و يذكرون الجلاد لان صوتها العالى يزعجهم و عليعم تلقى العذاب بطريقه افضل من ذلك. و هو فى طريقه

للمستشفى فكر فى علاقته بريم هل يعمل على تصعيدها و يطلب منها الارتباط فجاءه الرد على نفسه انه يحب ريم الحره المناضله المتألقه الجريئه صاحبة المواقف و اعتقد الارتباط بها سيجعل نظرتى لها مختلفه حيث لم اعرفها فى هذا الجانب و افضل ان احب ريم الصحفيه عن ريم زوجتى. و عند باب المستشفى التى يعالج فيها الحاج محمد تقابل مع حسان الوتيدى و الدكتوره علا و القيا التحيه على بعضهما البعض و فوجئوا جميعا انهم جاءوا الى نفس الغرض زيارة الحاج محمد الرشيدى. و صعدوا السلالم المؤديه الى العنبر الذى يعالج فيه و بنظر فاحصه لاعالى الجدران و الاسره راى حسان ان العنكبوت فى مكانه لم يزعجه احد و هذا جعله يزيد من مساحة منزله و يكثر من صيد الفرائص لكى يحتفظ بها لاعوام قادمه لوجودها بوفره تمرح حول بقايا الطعام الملقاه على الارض بعد انتهاء المرضى و ذويهم من تناوله. اما الاسره فازداد من عليها لدرجة عدم كفايتها وجود العديد من المرضى ينامون على الارض و المحاليل معلقه باذرعم. و بالتوجه الى المكان الذى كان يعالج فيه الحاج محمد فؤجئنا بانه مستبدل بمريض اخر و عند التوجه الى حجرة الممرضين لسؤالهم عنه وجدناهم

يشاهدون احد الافلام الهنديه المعروضه بشغف تام و عند تكرار السؤال اكثر من مره تطوع احدهم بالرد ليس ليقدم لنا هذه الخدمه و انما لنتوقف عن ازعاجهم و جاءنا الرد بان الحاج محمد مات هذا الصباح و اخذت زوجته جثته بعربة نقل الموتى التابعه لاحد الجمعيات الخيريه لدفنه فى قريته.

****

تابع الدكتور اشرف الحديدى سير تنفيذ الخطه باهتمام بالغ مع الاستعداد بالمواجهه الشرسه لاى طارق يظهر فجأة و الحمد لله ان الضربه كانت موجعه و قويه و حاسمه تلك المره و التى على اثرها تفرق الخصوم و هذا ما شعربه لانه لم يتلقى الى الان اى اتصالات من الجهات السياديه المختصه بالامن. و هذا دليل على انهم اعطوا الضوء الاخضر لجميع الجهات التنفيذيه لسير الامور طبيعى و القيام بعملها وفق القانون. و هو فى غمرة تفكير جاءه اتصال على موبايله و عند النظر على رقم المتصل او اسمه وجد انه مكتوب عليه غير معروف فانتظر برهه و قال فى نفسه هل هذا ما كنت انتظره و توقعت عدم حدوثه ها هو يصبح واقع الان. و هو يفكر فيما سيكون رده او استعداه هل يرد بما كان قد اعده مسبقا و هو اسف الموضوع

فى القضاء و دورى انتهى ام سيعرضوننى للابتزاز بجعلى اتراجع لكن كيف و الامر اصبح فى يدى الشعب و هو صاحب القرار. انتهى صوت رنين الهاتف فاستراح برهه من تفكير لكنه فؤجىء باعادة الاتصال فقرر الرد و قال الدكتور اشرف الحديدى اهلا و سهلا فجاءه الرد ايه يا دكتور مش عايز ترد ليه فاطمئن للنبره الحميميه و قال اسف يافندم التليفون كان بعيد عنى و الرقم غير معلوم لاعاود الاتصال فمين سيادتك انا مدير مكتب الرئاسه و الريس عايز يقابلك بكره فى مكتبه الساعه الثامنه صباحا سارسل اليك سياره الى منزلك فى الموعد المحدد و تم اغلاق الخط. جاءته الهواجس لماذا يريد ان يقابلنى الرئيس هل يريد منى الضغط على نواب الحزب ليسحبوا طلب سحب الحكومه لانه مش ممكن يكلمنى شخصيا فى موضوع الدكتور امجد طاهر. موضوع سحب الثقه من عدمه ليس قرارى و انما قرار اغلبيه اعضاء هيئة المكتب و ليس هذا فقط و هو يعلم الاجراءات، تبليغ الكتله البرلمانيه بقرار الحزب انتهى و بدات الاجراءات و لا يمكن التراجع نتيجة ضغط ناخبيهم عليهم المتابعه للموضوع و هذا بالاضافه للتحالفات داخل المجلس قد حدث و لا يمكن التحلى عن ما تم الاتفاق عليه. و لم يقترب

النوم من جفونه طوال الليل الى ان جاء الموعد المحدد و نزل الى السياره التى كانت منتظره اسفل المنزل و توجهت به الى قصر الرئاسه. استقبله مدير مكتبه و ادخله على الفور بقوله الرئيس سيكون معك خلال خمس دقائق حتى تشرب فنجان القهوه. و ما ان وصل الى الرشفه الثالثه من الفنجان اتاة مدير مكتب الرئاسه و هو يقول الرئيس فى استقبالك فترك الفنجان على المنضده التى امامه و توجه ليدخل الى الرئيس الذى وجده واقفا مبتسما و هو يمد يده و يقول اهلا د اشرف اخبارك ايه. فرد عليه الدكتور اشرف الحمد لله يا فندم انا بخير و جلس بعد جلوس الرئيس اشارته اليه بالجلوس. و قال الرئيس جهودك فى كشف مخطط تجارة الاعضاء كان حاجه عظيمه، شعر الدكتور اشرف الحديدى بالراحه بعد هذا الثناء الذى يناقض اتجاه ما كان يفكر فيه و قال له يا معالى الرئيس نحن جنود فى الجيش الذى يعمل لتقدم البلاد و رفعتها. فقال له الرئيس و ما هو قولك فى اننا نطلب منك ان تكون قائد و ليس جندى، فكان الرد من قبل الدكتور اشرف الذى يريد ان يستوضح الامر اكثر نحن ليس لدينا مانع سيادتك فى تقديم كل ما نستطيع لصالح الوطن و لا يهمنا اى كان الموقع، فقال له الرئيس مفهوم لكن كونك قائد

سيكون متاح لك الكثير من الصلاحيات و استطرد فى القول و قال نريد منك ان تتقلد رئاسة الحكومه. كان هذا الطلب اخر ما كان يتوقع ان يسمعه و هو فى حالته تلك من الصمت قال الرئيس شكل الحكومه بالفريق الذى تحب العمل معه و راعى التوازنات السياسيه قدر الامكان و اسماء وزارتى الدفاع و الداخليه اتركهما لى، و انا اريد منك التركيز على جانب الخدمات و الاقتصاد فى هذه الحكومه، و علمى باعتمادك على الشباب فى تحركاتك الاخيره كانت من معايير تفضيلك فى هذا الموقع خاصة فى تلك الايام التى تشهد اضطرابات سياسيه بالبلاد المجاوره لنا منذره باحداث كارثيه و بالطبع سيكون لها تاثير على الوضع الداخلى فى بلادنا. لهذا دكتور اشرف اختار فى فريقك شباب حتى و لو فى الصف الثانى. فقال الدكتور اشرف هذه ثقه غاليه معالى الرئيس نشكر سيادتك عليها و ادعو الله ان اكون عند حسن الظن و سوف يكون على مكتبك قريبا جدا اسماء الفريق و المعاونين لهم فهو سيادتك موجود بالفعل و يعمل تحت مسمى حكومة الظل. فكان جواب الرئيس انا اعلم بتحركاتهم لكنى اريد فى الفتره القادمه نزع عباءة الحزبيه التى تجعل المردود يقتصرعلى اعضاء الحزب و المتحالفين معه

انى اريد العمل لصالح افراد الوطن جميعا. لذلك اول خطوه هو تقديم استقالتك من رئاسة الحزب و الاكتفاء بالعضويه غير مفعله حتى لا يكون هناك تحيز فى القرارات. تفهم الدكتور اشرف هذه النقطه و قال كما قلت لسيادتك لا تهمنى المناصب و لا المكاسب السياسيه و انما يهمنى هو صالح الوطن و المواطنين و شكر الرئيس و استاذنه فى عدم الاطاله اكثر من ذلك لعدم ضياع وقته الثمين، مع الاتفاق على اعطاء مدير مكتب الرئيس كشف باسماء الحكومه الجديده و معاونيهم مع البرنامج التفصيلى الذى سينفذ اثناء تولى تلك المسئوليه، ودعه الرئيس و دعا له بالتوفيق.

رجع الى مكتبه بالجريده و هو فى قمة الحماس و يقول لنفسه هذه هى الفرصه الحقيقيه لتنفيذ كل ما كنت احلم به لصالح الوطن. و لكن هل يتركونى اصحاب المصالح الخاصة و الفاسدين لتنفيذ ما احلم به. الاجابه بالطبع لا و السؤال الاهم هل ابدا بمحاربتهم اولا املا فى القضاء عليهم ام اسير فى طريق البناء. فالبدء بمحاربتهم سيشتت الجهود و يجعلهم اكثر قوه فى اتحادهم كذلك السير فى البناء لن تظهر اثاره لتاكله بطمع المفسدين. هذه قضيه هامه يجب حسمها قبل البدء فى العمل،

تذكر حسام الذى كان الجندى المجهول فى قضية تجارة الاعضاء. و اتصل بريم لكى تاتى الى مكتبه و كذلك اتصل بسكرتير الحزب يطلب منه دعوة هيئة المكتب لاجتماع عاجل فى الثامنه مساءا بمقر الحزب. و على الفور جاءت ريم الى مكتب الدكتور اشرف الذى طلب منها الجلوس و قال لها ما رايك ان تكونى مستشار اعلام رئيس الوزراء، فاجائها هذا الطلب و لم تستطيع ان تبدى اى رأى. فاستكمل حواره و قال لقد كلفنى رئيس الجمهوريه بتشكيل الحكومه هنا انفرجت اساريرها و قالت الف مبروك يا دكتور اختيار جيد و دعت له بالتوفيق. فقال لها لا تعتقدى الموضوع بالنسبة لى منصب انما هو مسئوليه و لن استطيع ان اواجهها بمفردى. فقالت بحماستها المعهود نحن جميعا معك يا دكتور و سيادتك حدد ما هو المطلوب و ان شاء الله سنقوم بالتنفيذ باقصى قدراتنا. فقال لها بالنسبه لتحديد المطلوب اود مقابلة الاستاذ حسام فخطتة فى موضوع تجارة الاعضاء كانت محكمه و نريد ان نستفيد منه فى الفريق الذى ساقوم بتشكيله. فقالت له ريم ساتصل به و اخبر سيادتك بالميعاد.

****

فى مكتبه بجريدة "الحدث" يقوم بقراءة احد الكتب عن الباراسيكولوجى و خاصة موضوعات الطاقه و القدرات الخارقه، و كيف انه علم لكن اكثره ليس عليه دليل و يقف العلم امامه مناصبا العداء له و لاتباعه. و كان رأيه فى هذا الموضوع ان العلم تقف حدوده عند الواقع المادى اما فيما وراء المادة فليس له ادوات للتعامل معه الا بتطبيق المعرفيه الفلسفيه كحل لاشكالية هذا العداء. و عموما الامور التى لا يتخذ عليها قرارات ليس مانع فى التعرف عليها من باب الثقافه و العلم الذى لا يضر ان لم يكن ينفع الى ان يتم اثبات ذلك بادوات العلم كالتجريب او الاستدلال و الاستنتاج و الاستقراء. اخذ نشاطه فى هذا المجال بالقراءه يزداد مؤخرا مع مجال علوم النفس للتعرف على الانسان اكثر و خاصة ان الجريده حدثت بها تغييرات جذريه نتيجة الاحداث التى تلت موت سالم بيه و القبض على الدكتور امجد طاهر الممول الرئيسى للجريده. لكن هذا لم يؤثر على اصدار الجريده فى مواعيدها بفضل العاملين الاكفاء بها. و تم تقليد احد رموز الصحافه الوطنيين فى رايى رئاسة التحرير خلفا لسالم بيه رحمه الله. و بالفعل هناك تغييرات اراها جيده فى سياسة التحرير خاصة اعتمادها على المصداقيه فى تناول

الاحداث. و هو فى قراءته باحد الكتب علا صوت رنين هاتفه "يا صاحب الهم ان الهم منفرج..." و جد ان المتصل هو ريم الذى جعله يضغط على زر الرد بسرعه وقال اهلا ريم و جاءه صوتها على الجانب الاخر ازيك يا حسام هناك تطورات كبيره حدثت ممكن نتقابل، فقال لها مسافة السكه و ساقابلك فى الكافتيريا. غادر مكتبه توجه الى المكان المتفق عليه و هو يفكر فى الحياه و الغايه منها و اجرى حوارا مع نفسه التى بدات بسؤال طرحته عليه ما هى الحياه فكان رده الجواب سيكون فلسفى لتوصيل الامر فقالت نفسه ماذا تعنى فقال ان كل واحد بيحاول يرسم صوره فى خياله ليصل بها الى الدرجه التى يرضى عنها. و لهذا يقوم بتعديلها مرات كثيره نتيجة تغير افكاره مع الوقت و تزايد خبرته و تطور اماله. و الذى يحدث ان الاجل فى اوقات كثيره لا يسعفه للوصول للصوره الاخيره التى يرضى عنها و يموت. و اعتقد انه عند خروج الروح من الجسد لتصعد للسماء نرى عين الميت تتبعها. احيانا يكون النظر بسعاده فترى ذلك بابتسامه على شفتيه لكونه وفق رسم الصوره التى ارادها و احيانا بحزن و ذلك بعبوس وجهه و سواده لاخفاقه فى تحقيق ما يري. الروح هى الصوره الاخيره التى

رسمت تفاصيلها طول فترة عمرك، و عندما يتم عرض كل الصور الاخيره للتقييم هتكتشف ساعتها انت ضعيت عمرك فى شيئ قيم و لا تافه. فقالت نفسه فى تلك الحاله سيكون الامر اشبه بمغامره ، فكان رده ستكون مغامره الا لم يكن واضح معنى الحياه فى الاذهان الذى هو انك لم توجد على سطح الارض عبثا او لانك تحيا و تموت و يهلكك الدهر و تفنى لتصبح تراب و فقط، انما انت مخلوق عليك التزامات لمن خلقك و عليك واجبات تؤديها لعمارة الارض بالخير، مدى التزامك لمن خلقك يحقق لك فى الدنيا درجة التوازن النفسى و الفوز بالجنه فى الاخره مكان تقييم صورتك. و التوازن النفسى فى الدنيا كما حدده علماء النفس اعلاه الاحساس بتقدير الذات يكمل هذا المعنى هو اثار الخير التى تتركها على الارض لاختيارك باداء واجباتك على الارض باراده حره. فقالت النفس كلام فلسفى و صعب الفهم فكيف تقوم بتنفيذه، فقال لها الامر بسيط و لكن حاولى فهم الموضوع بالقلب و ليس العقل، فالماده و حقائقها و واقعيتها مجالات يختص بها العقل اما ما وراء الماده التى تتعلق بالروح و مجالاتها خاصة المعنويه و الصفات يختص بها القلب، و ما نتحدث فيه هو من اختصاص القلب الذى يعتمد على

الحكمه فى الحكم على الاشياء". لاستكمال الحديث مطلب السعاده الذى يسعى اليه الكثير على وجه الارض لا يمكن التعامل معه بالعقل انما بالقلب و وصف الامور المعنويه الكثيره التى منها تحقيق التوازن و الطمانينه و راحة البال و الاحساس بالاكتفاء الذاتى كل هذه صفات لا يمكن العقل التعامل معها انما هى من مجالات حكمة القلب. فقالت النفس اذا ان تجعل العقل للماده و للقلب الروح فكيف يعتمد كلا منهما على زاده الذى يعتمد عليه فى الحكم على الاشياء، فقال هذا سؤال جيد فالمعرفه التى تخزن فى الذاكره نتيجة القراءه التى هى احد مصادرها القويه هى زاد العقل و الخبره النهائيه للافعال التى يستخلص منها المعنى هى زاد القلب فالعقل يعتمد على المنطق و القلب على الحكمه. و قبل ان انتهى من تلك النقطه اقول ان العقل عندما يتعامل مع الماده يسمى علم اما الروح التى تتعامل فيما وراء الماده يسمى فنا. كلام صعب فهمه هكذا قالت النفس، لكنه اجاب لم يخلقنا الله عز وجل لهذه الحيره بل ارسل الينا الرسل و الانبياء لهداية الناس الى الطريق المستقيم كلما انحرفت البشريه عنه، فالانبياء وظيفتهم اعادة التوازن النفسى للانسان عندما يتوه فى سبل الشر الكثيره بفعل الشيطان و اعوانه. لكن هناك تدرج

للوصول الى هذا التوازن فى الدنيا يمكن ملاحظته للرسالات السماويه فاليهوديه استغرقت فى الماده و المسيحيه استغرقت فى الروحيه و الاسلام جاء ليس للتوازن فقط بين الماديه و الروحيه انما تفعيلها على ارض الواقع بايقاع جماعى. و لتوضيح تلك النقطه هى ان الرسالات السماويه السابقه للاسلام كانت تمارس العبادات منها على شكل فردى و لهذا نسمع وجود الصوامع و المحاريب و انتشار الرهبانيه و الانعزاليه و هذا اثر على نمط الحياه المجتمعيه بشكل عام، لكن الاسلام حرم الرهبانيه و دعا الى الجماعيه فى الاداء بعد الاعداد الفردى بالالتزام بالعبادات.
فقالت النفس و ما هى الغايه من وجود الشيطان على الارض فقال الشيطان و اعوانه هم احد الادوات التى يختبر بهم الانسان لمعرفة مدى تماسكه بالطريق المستقيم و هو يجب معرفة ان اصل الشرور هى التى تنشأ من تعطيل الخير.
احس بالاجهاد بعد هذا الحوار وطلب فنجان من القهوه ليسيطر على تركيزه حيث وجد نفسه وصل الى الموقع المتفق عليه فى الكافتيريا و اتصل بريم الذى جاءته على عجل. و قالت له مباشرة الدكتور اشرف يريد مقابلتك، فقال لها لماذا فقالت هو ما سيقول السبب و بالفعل اتصلت بالدكتور اشرف و قالت له معى

الاستاذ حسام المرشدى سيادتك وقتك متاح للمقابله فقال فى انتظاركم و اغلق الخط، و صعد الاثنين الى مكتب الدكتور اشرف و دخلوا اليه بعد استئذان مدير مكتبه لهما منه. و صافحهما الدكتور اشرف فور دخولها و اشار اليهما بالجلوس و بدأ الحوار، ازيك يا حسام الذى اجاب شكرا كثيرا لك يا فندم، فقال الدكتور اشرف خطتك كانت ممتازه و سبب رئيسى فى النجاح، فقال حسام بل سيادتك الاساس فالافضل من الخطط و الافكار تنفيذها، فقال الدكتور اشرف و لهذا انا طلبت اقابلك، فقال حسام انا تحت امر سيادتك طالما انه فى الخير، فقال له الدكتور اشرف خير ان شاء الله و استكمل الحوار و قال لقد تكلفت برئاسة الحكومه، الامر الذى جعل وجه حسام يرسم السعاده، و استمر الدكتور اشرف فى الكلام و قال و انا الان بصدد تشكيل الفريق الذى سأتعاون معه خاصة و حسب تكليف الرئيس لى هى ستكون حكومه خدمات و اقتصاد لكن هناك امر يشغلنى تحديد وجهة اولوياتى خاصة و ان هذين المجالين هما هدف الفاسدين و اصحاب المصالح، و اقصد بتحديد اولوياتى فى هل ابدأ بمحاربة الفاسدين و اصحاب المصالح ام استمر فى العمل لكنى اعتقد ان ثمار هذا العمل لن تكون مؤثره بشكل كبير

على الطبقه الوسطى و محدودى الدخل، قال حسام اعانك الله يا دكتور اشرف على تلك المسئوليه التى تكون صعبه جدا على الشرفاء و الوطنيين، فقال الدكتور اشرف لهذا اريد تعاونكم معى و اقصد جهود الشباب خاصة و انا اعلم صلتكم بالعديد منهم فى كافة التيارات و لهم نقاط توافق كثيره معكم، فانا اريد تشكيل جبهه قويه منهم للوقوف امام اصحاب المصالح و الفسده، فقال حسام ها انت قررت سيادتك المواجهه، فقال الدكتور اشرف ليس لدى اختيار و لكنى اريد تعاونك معى فى هذا الامر بمثل اسلوب التعامل فى قضية تجارة الاعضاء. فقال حسام انا طبعا لن اتأخر فى اداء اى امر فيه الخير و لكن لدى مشكله و هى عدم العمل فى اطار مؤسسى، افضل ان اعمل و انا حر بعيد عن قيود الوظيفه. و اعد سيادتك اننى سأكون احد الجنود بفريقك لكنى اريد الاحتفاظ بموقعى بجريدة "الحدث" و سيكون ادائى فيما يطلب منى افضل. فانا علمت المطلوب منى فيما تفكر فيه سيادتك و هو العمل بالتوازى فى الاتجاهين محاربة اصحاب المصالح و بناء منظومه خدميه و اقتصاديه قويه، لكن مواجهه اصحاب المصالح و الفاسدين لن يكون دفعة واحده و انما البدء بمن يتصادم منهم فى تنفيذ مخططات البناء و التعامل معه بخطة

تجميع المعلومات المتاحه و وضع خطة الهجوم ثم التنفيذ.
اندهش الدكتور اشرف الحديدى من معرفة حسام لما يفكر فيه بهذه الصوره و قال له كما تحب و ستكون ريم هى حلقة الاتصال بيننا حيث انها ستكون المستشاره الاعلاميه فى الحكومه. استاذن كلا من ريم و حسام و خرجوا من مكتب الدكتور اشرف و بادرها بالتهنئه ولكنها قالت كنت اريد ان تكون معى اقصد معنا فقال لها هكذا افضل.

و اثناء توجهه الى الجريده اخذ يفكر فيما قاله الدكتور اشرف الحديدى و تمنى له النجاح و التوفيق، فالحقيقه ان المنصب تكاليفه صعبه و عزم فى نفسه على مساعدة الدكتور بكل ما يستطيع، خاصة و ان هدفه اصبح فى الحياه الان هو الانتقال من فكرة التوازن النفسى للافراد الى تحقيقها على مستوى المجتمع. و اعتقد ان هذا الامر هو السبب الرئيسى فى تقدم البلاد التى فطنت له و نفذته لكن تحت مظلة الالحاد المبنيه على فكرة البقاء. ما افكر فيه و اريد تحقيقه هو ايجاد التوازن المجتمعى لكن تحت مظلة الدين المبنى على فكرة الحساب و هذا ما سيكون لقاءنا فى المرة القادمه ان شاء الله.

2016/12/15

تعريف بالكاتب

الاسم: د. مصطفى برسيم

استاذ دكتور الجيوفيزياء التطبيقيه فى مجال استكشاف المياه الجوفيه

مركز بحوث الصحراء

- **له العديد من الابحاث العلميه فى مجال استكشاف المياه الجوفيه و حفر ابار المنشوره دوليا و محليا**
- **صدر له كتب فى مجال التنميه المجتمعيه مثل " حياتى لها معنى" و "رسائل لمن يهمه الامر"**

للتواصل:

drmostafa73@hotmail.com

https://www.facebook.com/mostafa.barseem

01001647110

ملخص للروايه

توجه الى المكان المتفق عليه و هو يفكر فى الحياه و الغايه منها و اجرى حوارا مع نفسه التى بدات بسؤال طرحته عليه ما هى الحياه فكان رده الجواب سيكون فلسفى لتوصيل الامر فقالت نفسه ماذا تعنى فقال ان كل واحد بيحاول يرسم صوره فى خياله ليصل بها الى الدرجه التى يرضى عنها. و لهذا يقوم بتعديلها مرات كثيره نتيجة تغير افكاره مع الوقت و تزايد خبرته و تطور اماله. و الذى يحدث ان الاجل فى اوقات كثيره لا يسعفه للصوره الاخيره التى يرضى عنها و يموت. و اعتقد انه عند خروج الروح من الجسد لتصعد للسماء نرى عين الميت تتبعها. احيانا يكون النظر بسعاده فترى ذلك بابتسامه على شفتيه لكونه وفق رسم الصوره التى ارادها و احيانا بحزن و ذلك بعبوس وجهه و سواده لاخفاقه فى تحقيق ما يري. الروح هى الصوره الاخيره التى رسمت تفاصيلها طول فترة عمرك، و عندما يتم عرض كل الصور الاخيره للتقييم هتكتشف ساعتها انك ضعيت عمرك فى شيئ قيم و لا تافه.